جامعة المنيا
كلية الدراسات العربية

السبئيـــــة
أخطر الحركات الهدامة فى صدر الإسلام

تأليف

الدكتورة / نادية حسنى صقر

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

القاهرة
١٤١١هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوةً للّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذينَ أشْرَكُوا ولَتَجِدَنَّ أقْرَبَهَمُ مَّوَدَةً للَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالوا إنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بأَنَّ منْهُمْ قسِّيسينَ ورُهْبَاناً وأنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ .

« سورة المائدة آية ٨٢ »

مقدمة

عقدت كلية الآداب بجامعة الزقازيق بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ندوة الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى ، واستغرقت الندوة من ٢-٤من جمادى الأولى ١٤١١هـ الموافق ٢٠-٢٢ من نوفمبر ١٩٩٠م. وكان لى شرف الإسهام ببحث فى تلك الندوة. وقد اخترت موضوع السبئية لما له من أهمية بالغة فى تاريخ الإسلام والمسلمين،.

أخذ اليهود يعارضون الإسلام والرسول خاصة بعد تحريم الربا الذى كان يدر عليهم ربحا عظيما وأدرك اليهود أن الإسلام إذا ما إستمر على هذا المنوال فى المدينة من التوسع والإنتشار فسيقضى على عقيدتهم وهى عقيدة لاتعترف بقيام نبى من غير بنى إسرائيل ولا بكتاب غير التوراه. والإسلام يرفض نظريتهم القائلة بأن النبوة بدأت وانتهت فى بنى إسرائيل

شعر اليهود أن الإسلام سوف يحد من سلطانهم لامحالة ، وأن ملكهم سيزول خاصة بعد أن أيقنوا من سيادة الإسلام على شبه الجزيرة العربية.

وحّد الإسلام العرب فخرجوا به على البلاد المجاورة . ولا يتمثل التيار الإسلامى فى نشر العقيدة الإسلامية ، بل يتمثل فى تحقيق سيادة الإسلام ، وتخيير الناس بين قبول الدين أو دفع الجزية والخضوع . فإلى الإسلام يعود إنتصار العرب وهو سر تفوقهم فقد كان قوة دافعة للشعب العربى تحفزه على إجتماع الكلمة لذلك رأى اليهود أن يتصدوا لهذا الدين .

فالإسلام مستهدف منذ ظهوره وحتى اليوم من اليهود ومن يساندونهم ، وما الصراع العربى الإسرائيلى إلا مظهرا من مظاهر العداء الدفين والقديم للإسلام والمسلمين . فاليهودية تحت مسميات مختلفة ماتزال - كما فعلت فى الماضى - توغر صدور المسلمين ضد بعضهم البعض، وتستعدى عليهم جميع القوى العالمية.

وهناك محاولات للتشكيك فى وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذى تنتمى إليه السبئية ، وما محاولات التشكيك فى شخصية ابن سبأ إلا للتعمية على دور اليهود القديم والحديث فى نفس الوقت.

ومن يحاول التشكيك فى وجود ابن سبأ إنما يعتمد فى محاولته تلك على أن سيف بن عمر التميمى روى أخبار عبد الله بن سبأ وأن سيف بن عمر التميمى

هذا راوية مُجرّح . وهذا برهان واهي ودليل ضعيف لا يعتد به إطلاقا، وذلك لأن أخبار ابن سبأ وصلت إلينا عن طريق روايات أخرى بعيدة عن سيف بن عمر. فقد أورد ابن عساكر عدداً من الروايات لا ينتهى سندها إلى سيف بن عمر وكلها تتناول ابن سبأ. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد جاء ذكر ابن سبأ فى كتابات مؤرخى القرن الثالث مثل ابن حبيب المتوفى ٢٤٥هـ وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ والجوزجانى المتوفى ٢٥٦- ٢٥٩هـ وابن عاصم المتوفى ٢٨٧هـ فى كتاب السنة وأبو يعلى الموصلى المتوفى ٣٠٧ هـ وغيرهم.

ومن المصادر المشهورة التى أوردت ذكر ابن سبأ الحافظ والقمّى والنوبختى والبغدادى والشهرستانى والأشعرى الذى يقول عنه:" يهودى احترقت أحشاؤه من نصر الله تعالى للمؤمنين فاصطنع الإسلام وهو يضمر أن يكيد له ، ذلك هو عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء" . وغيرهم كثير. من ذلك يتبين أن وجود شخصية ابن سبأ قضية محسومة ولا تحتمل الشك ولا يجدى فيها التشكيك الذي يهدف إلى إخفاء دور اليهود قديما فى محاولة يائسة مستميتة للتعتيم على دورهم حديثا فى الصراع العربي الإسرائيلى كما أن هناك العديد من المستشرقين المنصفين الذين تحدثوا عن ابن سبأ مثل يوليوس فلهوزن وجولد تسيهر وبطروشوفسكى وهوتنج وآدم ميتز وغيرهم.

وبعد أرجو أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على مدى خطورة السبئية التى وإن كانت تضرب بجذورها فى عمق التاريخ الإسلامى إلا أن إنعكاساتها على مسرح الأحداث المعاصرة تتضح وتتأكد يوما بعد يوم.

والله الموفق

د. / نادية حسنى صقر

تمـهيد

بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقيام الخلافة كانت قد تمت وحدة العرب سياسيا وصارت لهم دولة، هى دولة الإسلام.

قامت دولة الإسلام وامتدت الفتوحات الإسلامية وبدأت تخفق رايات الإسلام فى أفريقيا وآسيا وانهارت دولتي الفرس والروم أمام المد الإسلامى. رأى اليهود في شبه الجزيرة العربية - والذين يعادون الإسلام منذ ظهوره- أنه لاسبيل للقضاء عليه وعلى دولته، ويئسوا من إحراز نصر صريح عليه في حربهم له وجها لوجه ، أو الوقوف أمامه جيشا لجيش، فإن أسلافهم بني قريظة، وبنى النضير وبنى قينقاع قد فشلوا فى ذلك وأخفقوا كل الإخفاق. فى الوقت الذى كفل لهم الإسلام حرية العقيدة والعبادة ، ورغم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد عاهد اليهود وأحسن معاملتهم إلا أنهم خانوا عهده وغدروا به وتآمروا على المسلمين فى معركة الخندق حين طوقت قريش المدينة لحرب محمد والمسلمين . وتكرر غدر اليهود محاولين عبثا قتل الرسول وتصفية الدعوة الإسلامية.

لقد تحققت سيادة الإسلام على العالم مما آثار حقد اليهود عليه. وهم الذين يرمون إلى السيطرة على العالم. وهذه الفكرة حلم يداعب خيالهم منذ تحطيم دولتهم فى أورشليم . ويؤكد البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات حكماء صهيون ذلك المعنى[١] .

---

(١) محمد خليفة تونسى : الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيونية.

جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ورأى إخراج اليهود من شبه الجزيرة العربية فنقلهم إلى سوريه وغيرها بعد أن عوضهم، وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم " لا يجتمع بالجزيرة دينان "(١) ولم يعد يسمح لدين غير الإسلام بالحياة فى شبه الجزيرة العربية. اللهم إلا فى جنوب الجزيرة حيث كانت هناك بعض الجاليات اليهودية (٢)وجاء قرار عمر هذا مما زاد فى حقد اليهود ودفعهم لضرب الإسلام بأساليب خفيه تعتمد على الدس والتآمر والخداع وتلك أمور يجيدها اليهود. منذ أقدم العصور.

وقد جاء فى البروتوكول الأول مايلى :

" يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة " . ثم يسترسل قائلا : " .....يجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة من أجل المصلحة والنصر. وفى نفسى البروتوكول يقول: " يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا.

وفى البروتوكول الخامس أيضا تكرر الحديث عن الخديعة فى معرض حديثه عن أساليب اليهود في السيطرة علي الجماهير والأفراد فذكر منها الدهاء وكل أنواع الخديعة.

ظهر عبد الله بن سبأ فخطط هو ويهود صنعاء ليشعلوا الفتنة بين المسلمين فتظاهروا بحبهم وولائهم لعليّ. وتشيعوا له ونجحوا في تكوين فرقة مـــــن

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٨٣.
محمود شاكر : التاريخ الإسلامى ج ٣ ص ٢١٣.

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٧.

المسلمين [١] إسما المنافقين فعلا هدفها الإضرار بالإسلام والدس فى عقيدته السمحاء بنشر بعض العقائد اليهودية ، ظاهرها الأمر بالمعروف ،والنهى عن المنكر[٢]. وباطنها إبعاد المسلمين عن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم[٣]وعن روح الإسلام، وتعطيل الشريعة الإسلامية ووقف حركة الفتوح ومايتبعها من إنتشار للعقيدة الإسلامية وإتساع لنفوذ دولة الإسلام. والبروتوكول الرابع عشر[٤]يؤكد ويوضح مدى عداؤهم للأديان والأمم غير اليهودية.

ادعوا الإسلام كذبا ودخلوا قلعته مع جنوده خلسة وأدخلوا فى الإسلام ماليس فيه وألصقوا برجالاته مالم يكن فيهم.. أيدي خبيثة عملت على هدم دولة الإسلام بإيجاد الخلاف وتوسيع شقته بين المسلمين. فقسمتهم إلى شيعة وسنه. ثم بعد ذلك إلى فرق شتى تشعبت من كل فرقة فرق عدة تختلف فى أصل العقيدة وتتناحر فى الآراء وتكفر بعضها بعضا.

وكما جاء في البروتوكول الأول من بروكولات حكماء صهيون أن " تبدأ المنازعات والإختلافات التى سرعان ماتتفاقم فتصير معارك إجتماعية وتندلع النيران فى الدول ويزول أثرها كل الزوال . وفى البروتوكول السابع يقول :" يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة".

---

(١) إما متظاهرين أو الكثرة المخدوعين بحب على وأبنائه.

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٧٧.

(٤) محمد خليفة تونسى : الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيون .

نشأة السبئية

السبئيون أتباع عبد الله بن وهب بن سبأ الذى كان يعرف بابن السوداء ، وهو يهودى يمنى من صنعاء [١] أظهر إسلامه فى خلافة عثمان رضى الله عنه، وقد قرأ فى كتب الأديان عن اليهودية والنصرانية والإسلام وكان يكثر من المناقشات الدينية. فالسبئية فرقة أنشأها اليهود لتقوم بدور هدام ضد الإسلام كدولة وعقيدة ونظام إنتصر وأخذ يسود العالم آنذاك، وعلى ذلك فهى إحدى الحركات الهدامة فى صدر الإسلام.

تناول البغدادى السبئية بقوله:" السبئية أظهروا بدعتهم فى زمان على رضى الله عنه، فقال بعضهم لعلى: أنت الأله فأحرق على قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن وهذه الفرقة ليست من فرق المسلمين لتسميتهم عليا، إلها"[٢]، وهم بذلك إنما ادخلوا مبدأ الحلول على الإسلام[٣] أى حلول روح الاله فى على ويؤكد الطبرى ذلك فيقول" كان عبد الله بن سبأ رأس الغلاة من الشيعة فلم يكتفى فقط باعلان حقوق علىّ بل أضفى عليه مقام الألوهية[٤].

ولما قتل علىّ زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور فى صورته وأن عليا صعد إلى السماء مثل عيسى بن مريم عليه السلام وأنـه

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٤٠. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص١١.
فلهوزن : أحزاب المعارضة فى صدر الإسلام ترجمة عبد الرحمن بدوى ص١٧٠.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢١. الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص ١٧٤.

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٥٥، ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٨.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك : حوادث سنة ٣٥هـ.
آدم ميتز: الحضارة الإسلامية جـ ١ ص١٢٧.

سينزل إلى الدنيا. وزعمت السبئية أن عليا فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وهم حين يسمعون الرعد يقولون:" عليك السلام يا أمير المؤمنين" (١).

وعبد الله بن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علىّ وأظهر البراءة من أعدائه وكان يقول فى علىّ ماكان يقوله وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى لذلك قيل أن الرفض مأخوذ عن اليهودية. ولما بلغه نعى علىّ كذب ذلك وقال:" لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض (٢) ويملأها عدلا كما ملئت جورا.

أخذت هذه الفرقة تنشر بين المسلمين عقائد تنافى عقائد الإسلام ، وإن كانت هذه الفرقة تنتمى إلي المسلمين إسما إلا أنها تعمل على تدمير الإسلام والأضرار به والنيل منه، وقد تبرأ منهم علىّ فى حياته وعذبهم (٣) وأبغضهم بنوه من بعده، وبمرور الزمن غابت تلك الحقيقة عن المسلمين. وبذلك نجحت اليهودية الماكرة في ضرب العقيدة الإسلامية وإفسادها بدس بعض الأفكار اليهودية (٤).

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) النوبختى : فرق الشيعة ص ٤٣ وما بعدها . الشهرستانى : الملل والنحل ج١. ص ١٧٤. أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ ص ٤٢.

(٣) ابن قتيبه: المعارف ص ٦٢٢. إبن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٤. البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣.

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ١١. إحسان الهى ظهير: الشيعة والسنة ص ٢٠. أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ص ٤٠.

ومن الجدير بالذكر أن فلهوزن [١] يرى فى السبئية حركة يهودية المنشأ كما أن زعيمها يهودى العقيدة يمنى النسب وذلك لغرابة إسمه. كما يؤكد كارل بروكلمان [٢] وجود جاليات يهودية في جنوب الجزيرة العربية آنذاك وإستمر وجودهم حتى بعد صدور قرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والسبئية حركة مناوئه للإسلام ودولته ونظمه وحضارته لها قياداتها ودعاتها، قامت على منهج فكرى له أهدافه ومراميه تم تنفيذه على مرحلتين كبيرتين. وقد نجح المخطط لحد كبير وأتى ذلك المنهج الفكرى ثماره.

ففى المرحلة الأولى: أثيرت الأمصار على المدينة، وأثيرت القبائل على قريش وضاعت هيبة الخلافة وصار من الممكن تكرار الثورة على شخص الخليفة أيا كان بعد مقتل عثمان كما أثيرت الشكوك فى القرآن كمصدر للتشريع الإسلامى وتوقفت حركة الفتوح الإسلامية ووُضعت السلطة فى يد الغوغاء.

ولعل ماجاء فى بروتوكولات حكماء صهيون يؤكد مانقول . فقد جاء فى البروتوكول الأول : " خير النتائج فى حكم العالم ماينتزع بالعنف والإرهاب....هل يستطيع عقل منطقي سليم أن يأمل فى حكم الغوغاء حكما ناجحا بإستعمال المناقشات ". وفي البروتوكول الثالث: " نحن نحكم الطوائف بإستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤجّجها الضيق ... ونستغل الغوغاء كيما نحطم كل شىء قد يثبت أنه عقبة فى طريقنا ".

---

(١) فلهوزن : الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ١٧٠.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٧.

وفى المرحلة الثانية: كانت الحرب الأهلية فى الجمل وصفين والنهروان وصار بأس المسلمين بينهم شديد، وإنشغل المسلمون بصراعاتهم الداخلية عن نشر الإسلام فى العالم ونشأت الفرق الإسلامية علاوة على إفساد العقيدة ذاتها بأفكار غريبة على الفكر الإسلامى، وليس أدل على ذلك مما جاء فى البروتوكول الأول حيث يقول " سواء أنهكت الدول الهزاهز[١] الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى، فإنها فى كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائيا كل الخراب وستقع فى قبضتنا".

وفى البرتوكول الثانى عشر نقرأ " تهييج العواطف الجياشة في الناس، وأحيانا إثارة المجادلات...." وفى البروتوكول الرابع عشر " لن نبيح قيام أى دين غير ديننا.... يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين " . وفى البروتوكول السابع عشر:" وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين clergy من الأمميين (غير اليهود) فى أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا فى طريقنا، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما فيوما. وفى البرتوكول الخامس: " لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا".

---

(١) Convulsions أى الهزات أو الإرتجافات ، والهزاهز أدق. وفى المصباح المنير " الهزاهز: الفتن يهتز فيها الناس" (بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسى).

ذلك هو تخطيط اليهود، وتلك أساليبهم في كل زمان ومكان. وحينما نقول السبئية لا نعنى عبد الله بن سبأ وحده، فشخص واحد لا يمكن أن يقوم بهذا الدور الضخم، إنما هناك دعاة وأتباع. فريق متكامل يعمل لتحقيق أهداف مرسومة، ولابد لهذا الفريق من قيادة منظمة خفية غير مُعلنة، وهذه القيادة وإن لم نعرف تفاصيل عنها إلا أنه من الثابت أن اليهود من خلفها.

وإن كان عبد الله بن سبأ هو الواجهة الظاهرة لهذه الحركة إلا أنه من الضرورى وجود المنظمة أو الهيئة التى أوكلت إليه القيام بهذا الدور البعيد المدى فى تاريخ الاسلام والمسلمين، فعبد الله بن سبأ ماهو إلا وكيل منظمة سرية يهودية. ولعل البروتوكول الرابع من بروتوكولات حكماء صهيون يوضح ماذهبنا إليه. ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك البروتوكولات هى خلاصة فكر اليهود التي ضمنوها خططهم وأساليبهم ، ونواياهم الحقيقية والتي ظهرت للعالم بمحض الصدفة وعلى غير رغبة من اليهود أنفسهم مما دعاهم إلى سحب الطبعات المختلفة لتلك البروتوكولات وأبعادها عن أيدى القراء. جاء في البروتوكول الرابع :" ......حكم الغوغاء الذي يؤدى إلى الفوضى، ويسبب الإستبداد. أن هذا الإستبداد من الناحية الرسمية غير شرعى، فهو لذلك غير مسئول. وإنه خفى محجوب عن الأنظار، ،ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوسا به. وهو علي العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء ولذلك سيكون أعظم جبروتا وجسارة". ويسترسل البروتوكول قائلا:" من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ماعليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا، وخطة عملنا فى مراكز قيادتنا ماتزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا".

وابن سبأ فى المرحلة الأولى حينما كان يجوب أنحاء العالم الإسلامى كان له أنصار أو أعوان معروفون كان ينزل عليهم، وكانت هناك مراسلات[١] دائمة بينه وبينهم في مختلف الأمصار الإسلامية . وفى الكوفة قبيل موقعة الجمل تحدثت المصادر عن إجتماع هام عقده أعضاء التنظيم السبئى لمناقشة الموقف حينما تم الإتفاق على الصلح بين علىّ والمعارضة. وتم إتفاق المؤتمرين على ضرورة إشعال الحرب بين الفريقين مهما كانت الظروف. وقد أعلن ابن سبأ[٢] نفسه القرارات التى تمخضت عن ذلك المؤتمر. كما ذكرت المصادر أسماء عدد من أعضاء التنظيم السبئى المعاونين لابن سبأ والذين حضروا المؤتمر.

فالسبئية هنا حركة جماعية تنتسب إلى الزعيم أو الوكيل الظاهر. ولفظ السبئية يدل على الحركة الشاملة مثلما تقول الماركسية أو الوهابية أو الناصرية. فهى حركة تنتسب إلى شخص هام قام بأكبر دور فيها.

جاء في البرتوكول الخامس عشر" وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا، وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون كى نحجب المكان الذى تقيم فيه قيادتنا الحقيقية. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق فى تعيين من يتكلم عنها وفى رسم النظام...."

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٣٣١، ص٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩٣. ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ١٢٠. بن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩.

المرحلة الأولى
السبئية فى خلافة عثمان رضى الله عنه

أظهر ابن سبأ إسلامه فى خلافة عثمان(١) وسمى نفسه عبد الله إمعانا في الخداع وتؤكد النصوص التاريخية أن الذى أضرم نار الفتنة وأشاع الفساد وسعى بين المدن والبلدان بالتحريض والأغراء على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان ابن عفان ذى النورين رضي الله عنه، هو هذا المنافق وفرقته(٢) من اليهود والذين أعلنوا اسلامهم نفاقا وأوقدوا نار العصيان وأشعلوها كلما خمدت نيرانها، ويوضح الطبرى شيخ المؤرخين المسلمين كيف تنقل ابن سبأ وأعوانه بين البلدان من المدينة إلى البصرة إلي الكوفة إلى الشام إلى مصر(٣)، وكيف نفث سمومه فى الفسطاط وأوقعهم فى شراك الفتنة.

سعى ابن سبأ وأعوانه بين المسلمين بالافساد والفرقة فمزق وحدة المسلمين وشتت شملهم خلف ستار التشيع لعلى رضى الله عنه وكان له أعوانه المنبثون فى البلدان الإسلامية يراسلهم ويكاتبهم(٤).

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١- ٣٤٦.

الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ١ ص٥٠.

(٣) الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠. ابن الأثير: الكامل ج٣ ص ٧٢-٧٣.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٣١. ابن الاثير: الكامل ج٣ ص ٧٧.

مخطط السبئية ضد الإسلام:

كانت خلافة عثمان رضى الله عنه عصر إنتصار ونفوذ وسيطرة للأسرة الأموية. ولما كان عثمان رضي الله عنه رجلا طيبا سمحا فقد إجتمع حوله أفراد الأسرة الأموية وعلي رأسهم الحكم بن أبى العاص طريد رسول الله صلي الله عليه وسلم (١) ومن ألد خصوم الإسلام حتي أن مروان بن الحكم صار أقرب معاونى الخليفة عثمان ومستشاريه(٢) كما كان عثمان رضى الله عنه قد أعفى القائمين بأمور قيادة الجيش والمناصب الحكومية والولاية فى النواحى المختلفة من مناصبهم وقلد تلك المناصب لبنى أمية والمؤيدين لهم فافادوا من مناصبهم وكثرت ثرواتهم وعلى رأس هؤلاء معاوية بن أبى سفيان والى الشام وعقبه بن أبى معيط الذى أخبر عنه النبى أنه من أهل النار(٣).

استغل عبد الله بن سبأ ودعاته تلك الأوضاع فى إثارة سخط الجماهير ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه وأعلن أحقية على بن أبى طالب في الخلافة حتى تجلى سخط العامة فى صورة الغلو في إظهار الأمل وعقده علي علىّ(٤).

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٦٤، ١٦٨، ١٧٣.

المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٣ ص ٧٧.

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج٢ ص ٣٤٣.

(٤) بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران ص ٨٥.

أخذ ابن سبأ يتنقل بين الأمصار والبلدان الإسلامية محرضا علي أمير المؤمنين عثمان رضى الله عن هو وصحبه ساعيا بالفتنة والفساد والاغراء على خليفة المسلمين ولقد أجمع المؤرخون على أن عبد الله بن سبأ هو الذى أشعل نار الفتنة والعصيان(١) ضد عثمان وولاته ليمزق وحدة المسلمين ويفرق جمعهم مستترا بستار التشيع لعلى وأبنائه ، حسب مخطط يهودى .

تنقل ابن سبأ فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم. بدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ثم مصر .

إبن سبأ فى البصرة :

ذهب عبد الله بن سبأ إلى البصرة فى إمارة عبدالله بن عامر، ونزل على حكيم بن جبلة العبدى بكل الآراء التي توغر الصدور علي عثمان رضى الله عنه. وكان حكيم بن جبلة هذا رجلا لصا إذا قفلت الجيوش خَنَس عنهم أى إختفى وتخلف عنهم ثم يسعى فى أرض فارس فسادا(٢) فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويعيث في الأرض ويأخذ مايشاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان. فكتب إلى والى البصرة عبد الله بن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرجون منها حتى تأنسوا منه رشدا، فكان لا يستطيع أن يخرج.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٥ ص ٩٠. على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ص ٢٥٢. إحسان الهى ظهير : الشيعة والسنة ص ٣١ .
أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ج١ ص ٤١.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٧٢-٧٣.

التجأ ابن سبأ إلى حكيم بن جبلة هذا، وقد إختاره ابن سبأ وأقام عنده لأنه كان موتورا من عثمان . وكانت سياسة ابن سبأ أن يلجأ دائما إلى كل موتور .وكان يجتمع إليه الناس فيلقى عليهم أحاديثه التى يطعن فيها على عثمان وولاته وكيف أغتصب عثمان الخلافة من علىّ متناولا فكرة الوصاية، كما كان يحدثهم عن تعاليم خبيثة حول الرجعة والقوم حديثوا عهد بالإسلام ليس لهم علوم أو دراسة، فكانوا يقبلون منه ويتأثرون به [١] ويمكن القول أن دعوة ابن سبأ وجدت مرعى خصبا فى البصرة.

ولما وصلت أبناء تلك الإجتماعات إلى ابن عامر والى البصرة أحضره وسأله عن نفسه وخبره، فأجابه ابن سبأ بأنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام وفى الحياة بالبصرة ، وشعر ابن عامر بخطورة هذا الإنسان ، وارتاب فى أمره لحد بعيد . لذلك طرده من البصرة[٢] ليأمن شره. والواقع أنه إذا كان ابن سبأ طرد من البصرة فانما طرد منها بعد أن حقق غرضه فيها بنشر أفكاره وتكوين خلايا سبئية، وجمع رجال وأنصار سوف يقومون بدور كبير فى مستقبل الأحداث بعد ذلك.

ابن سبأ فى الكوفة:

بعد طرد ابن سبأ من البصرة توجه إلى الكوفة [٣] ليقوم بها بنفس الدور الخبيث من أجل تحقيق ذات الهدف، وبث نفس الأقاويل والطعن على عثمان رضـــي

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٤ ص ٣٢٦ ومابعدها.
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٧٢-٧٣.
(٣) المصدرين السابقين.

الله عنه وكل مايوغر الصدور ويؤلب الناس على عثمان. فروّج إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليس لهم صحبة من النبى صلى الله عليه وسلم ثم لا يغزون ولا يذبّون ، وما كان من الوليد الوالى السابق بالكوفة وقضية شربه الخمر وتعطيلة إقامة الحد عليه(١)، ثم قضية خمس إفريقية ، وأنه أول من ضرب ظهور الناس بالسياط(٢) وغير ذلك من قضايا، ولما تبيّن خطره طرده والي الكوفة أيضا. ومن الواضح أن ابن سبأ كان قد كون أنصارا وأعوانا ممن صدقه وإقتنع برأيه ، وإستمر ابن سبأ يكاتبهم ويراسلهم(٣) سواء فى البصرة أو فى الكوفة بعد طرده منهما ممايؤكد إستمرار التخطيط والتآمر.

ابن سبأ في الشام:

ذكر الطبرى أن عبد الله بن سبأ لقى أباذر الغفارى فى الشام وحرضه علي معاويه بقوله: المال مال الله . ثم أتى أن سبأ إل أبى الدرداء ، فلما سمع هذا حديثه قال متسائلا: أظنك والله يهوديا (٤) ومعروف أن أبا ذر كان زاهدا تقيا متقشفا، ذا شفقة علي الفقراء والمساكين لا يميل إلى إكتناز الأموال أو إدخارها دون من يحتاج إليها. فدخل ابن سبأ من هذا الباب. وقد كان عل جانب كبير من الذكاء والدهاء، عرف المنفذ والمدخل الذي دخل منه إلى كل شخص أو إلى كل جماعة، كان يتعرف مواطن الضعف في كل مجتمع وكل فرد فيدخل منها بدسائسه.

---

(١) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة ج١ ص ٣٥. (ذكر الطبرى أن عثمان أمر سعيد بن العاص فجلده. جـ٤ ص٢٧٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٧٢.

(٤) الطبرى : الإمم والملوك ج٤ ص ٢٨٣.

ونجح ابن سبأ فى إثارة أبى ذر الغفار فى الشام على معاوية من هذا المنطلق. إذا قال له : يا أباذر ألا تعجب من معاوية إذ يقول المال مال الله ، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسمهم، [١] فذهب أبوذر إلى معاوية يحدثه في الأمر بعنف وأغلظ له فى القول. مما ذكرته المصادر [٢]. وتضخمت الفكرة فى ذهن أبى ذر حتى صار أول من قال بالإشتراكية فى الإسلام. فكان بينه وبين معاوية من الخلافات حول هذه النقطة ماهو معروف . كما أنه أثار الفقراء على الأغنياء ، فأثار بذلك بعض المشاكل لمعاوية . حتى إضطر إلى مراسلة الخليفة عثمان مستنجدا به من أبى ذر حتى إستقدمه عثمان إلى المدينة ثم إستقر به الأمر بعد ذلك فى الربذة [٣].

والواقع أن ماكان عليه معاوية من اليقظة والحزم والضبط للأمور وقوة قبضته على ولايته، كل ذلك أفسد على ابن سبأ تحركاته فى الشام فلم ينجح فى تكوين خلايا سبئية أو أنصار لدعوته هناك، بل إنكشف أمره سريعا على يد أبى الدرداء [٤] الذى عرف من حديثه أنه يهودي، ثم عبادة بن الصامت [٥] الذى تعلق به وأتى به معاوية فقال له:هذا والله الذى بعث عليك أباذر.

---

(١) الطبرى : الإمم والملوك ج٤ ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ٥٧.

(٣) إبن الأثير: الكامل ج٣ ص ٥٧.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق . (وأكد بن الأثير تلك الرواية).

ابن سبأ فى مصر:

ذهب ابن سبأ إلي مصر ينشر دعوته وينفث سمومه واستغل سخط المصريين على عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، والى عثمان عليهم وأخذ يثير الناس على عثمان.

ذكر لهم أنه وجد فى التوراه أن لكل نبي وصياً وإن عليا رضى الله عنه وصى محمد(١) صلي الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمد خير الأنبياء . وأن عثمان أخذ حق علىّ وظلمه. وهو بذلك أول من أظهر القول بالنص بإمامة علىّ (٢).

رأى عبد الله بن سبأ أن علىّ بن أبى طالب رأس الصحابة الذين بقوا من حيث التقدير والإحترام وهو الرجل الثانى في الدولة بعد الخليفة. وكانت له عند الخلفاء مكانة لا تدانيها مكانة، يستشار ويؤخذ برأيه في المواقف مع سبقه فى الإسلام وعلمه وفقهه الكبير وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. لذلك آثر هذا اليهودى إختيار على ليدعو له لا حبا فيه ولا إقتناعا بمكانته وإنما لبذر الفتنة فى المجتمع الإسلامى وحتى لا يعرف مخططه وينكشف فأعلن أن عليا وصى محمد.

ويبدو أن ابن سبأ كان قد أعد لهذا الدور فقد قرأ فى الأديان وفلسفتها وكان يكثر الحديث فى ذلك أينما حل. يتصل بالناس ويتحدث إليهم ويبدى تفهمه للإسلام وعقيدته ويعقد مجالس للحديث فى هذا الشأن ومن أهم ما أفسد به العقول مازعمه من مدى تعجبه ممن يزعمون أن عيسى يرجع ويكذبون برجعة محمد.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٤ ص ٣٤٠.
البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٥.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص ١٧٤.

أخذ بعد ذلك يطعن فى الخليفة وولاته وعماله وأنهم دون الصحابة الأجلاء وأن هؤلاء الولاه لم يتولوا تلك المناصب إلا لقرابتهم من الخليفة الذي بلغ من الكبر عتيا وأصبح خاضعا لهم. فهم الذين يحركوه كيفما شاءوا وأن الدولة والخليفة صارا أداه طيعة في أيديهم . وفي كل ذلك يتخذ ثوب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وفى مصر وجد عبد الله بن سبأ الظروف مواتيه لنشر تعاليمه ودعايته لاعلان الثورة ضد الخليفة وذلك أن والى مصر آنذاك عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان مشغولا بالحروب الخارجية، فقد غزا إفريقية سنة ٢٧هـ(١) وغزا النوبة وعقد مع أهلها هدنه سنة ٣١هـ، كما حارب الروم فى وقعة ذات الصوارى سنة ٣٤هـ ، وبذلك خلا الجو لابن سبأ وأعوانه كى يديروا مؤمراتهم فى مصر بعيدا عن أعين الرقباء.

ويبدو أن ابن سبأ كان شخصية قيادية قوية جذابة ماكرة استطاع التأثير على العامة. واستغل السبئيون بذكاء كل ماحولهم من ظروف، فقد أثاروا النزاع بين القبائل على السيادة والسلطة، وأنفة بعض القبائل العربية من سيادة قريش، وأثاروا الأمصار على المدينة. وأيقظوا وأثاروا الروح القبلية والنزعة الاقليمية. كما استثمروا تذمر البعض من الناقمين على عثمان لمواقف شخصية مثل عمرو بن العاص(٢) فى المدينة ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر فى مصر (٣) وغيرهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٨٢. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص٥٢.

(٣) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٧٤-١٧٥.

حتى المدينة لم تخرج عن دائرة تحركات السبئية ، فأرسلوا إليها الكتب[(١)] يشكون فيها من الولاه والعمال، وكانت تلك الكتب سببا لكثرة الحديث في شأن عمال عثمان وشيوع الأقاويل فيهم حتى تأثرت بذلك نفوس البعض من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم مما سيكون له تأثيره على الأحداث بعد ذلك ، ومما ساعد على إشتعال الفتنة .

كما كانت هناك كتب ترسل إلى الأمصار دستها السبئية باسم أهل المدينة[(٢)] يستقدمون فيها أهل الأمصار مستنجدين بهم لاصلاح ما أفسد عثمان من أمور الخلافة. وقد انكشف ذلك خلال حصار عثمان حينما كان بعض الصحابة متعاطفا معه، فقام الأشتر الذى كان ضمن الثوار وقال متعجبا : " جاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا ، فأخرج كتابا فيه:

" بسم الله الرحمن الرحيم ... من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين ، أما بعد ..أن تعالوا إلينا وتداركو خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله بدل. وسنة رسوله قد غيرت . وأحكام الخليفتين قد بدلت ، فننشد الله مَن قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان ، إلا أقبل إلينا ، وأخذ الحق لنا ، وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم، وفارقكم عليه الخلفاء ، غلبنا على حقنا، وإستولى على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا ، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة ، وهي اليوم ملك عضود، من غلب على شيء أكله"[(٣)] .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٤ ص ٣٤١.
(٢) المصدر السابق ص ٣٥٥.
(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٣٧.

لقد زاد سخط عامة الناس على عثمان فى الفترة الممتدة من سنة ٣٢هـ إلى سنة ٣٥هـ ، وإستاء من تصرفاته بعض كبار الشخصيات[١]. وكثير منهم وإن كانوا من المؤيدين لبنى أمية إلا أنهم كانوا قد أبعدوا عن المناصب الكبرى فى الدولة.

تلك كانت فترة التحضير للثورة، وتهيئة الأذهان لها فكريا ، وتكوين رأى عام ضد الخليفة لخلع طاعته وبيعته، تأثر الكثرون بابن سبأ وخرجوا على الخليفة عثمان [٢]. ثم تواعدوا على التوجه إلى المدينة فى شوال عام ٣٥ هـ [٣] وذلك لتنفيذ ما اعتزموا عليه من أمر عثمان، وخشوا أن يُعلموا الناس بنيتهم للشغب والثورة والحرب ، وتظاهروا بغير ذلك فخرجوا كالحجاج.

خرج أهل مصر على أربع فرق عليها أربعة أمراء وعددهم فيما بين الستمائة والألف[٤]، وأهم قياداتهم هم عبد الرحمن بن عديس البلوىّ ، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شييم الليثىّ ، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعىّ ، وسواد بن رومان الأصبحىّ ، وزرع بن يشكر اليافعىّ ، وسودان بن خمران السكونى، وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكىّ وخرج معهم عبد الله بن سبأ.

---

(١) ابن أعثم الكوفى : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٨.

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٣١. ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠ وما بعدها . إحسان الهى ظهير: الشيعة والسنة ص ٢٤.

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٦.

(٤) المصدر السابق ج٤ ص ٣٤٨. ذكر ابن العربى أعدادا أقل من ذلك (العواصم من القواصم ص ١١٢).

وخرج أهل الكوفة فى أربع فرق أيضا ، وأهم رجالاتهم زيد بن صوحان العبدىّ ، والأشتر النخعىّ ، وزياد بن النضر الحارثى، وعبد الله بن الأصم، وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الأصم(١). وخرج وفد البصرة فى أربع فرق أيضا وأهم رجالاتهم حكيم بن جبلة العبدى، وذريح بن عباد العبدىّ ، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسىّ ، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفى، وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدىّ (٢).

هكذا بث السبئيون دعاواهم الموجهة ضد عثمان لاعلان الثورة عليه وكانت ذات شقين أو منطلقين:

المنطلق الأول:

أنه أتى فى ولايته بمظالم لم يأت بها الخلفاء من قبل مثل :-

١- ضربة لعمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه.

٢- ضربة عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه(٣).

٣- ابتدع فى جمع القرآن وتأليفه وفى حرق المصاحف أى الصحائف المخطوطة المتباينه فاتهمت السبئية عثمان بأنه فعل شيئا أثر في نص القرآن (٤).

٤- حمى الحمى (٥).

٥- أجلى أبا ذر الي الربذة (٦).

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اليعقوبى : ج٢ ص ١٧.

(٤) المصدر السابق. ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ٥٥.

(٥) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ١٧٤. ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ ١ ص ٣٥.

(٦) تاريخ اليعقوبى ص ١٧٤.

٦- رد الحكم بن أبى العاص بعد أن نفاه رسول الله صلعم[١].

٧- أبطل سنة القصر فى الصلاة في السفر.

٨- ولىّ معاوية ، وعبد الله بن عامر بن كريز[٢]. ومروان بن الحكم[٣]وولى الوليد بن عقبة [٤] وهو فاسق ليس من أهل الولاية.

٩- أعطى مروان خمس أفريقيه.

١٠- ضرب بالعصا بعد أن كان عمر يضرب بالدره.

١١- إرتفع درجة على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد إنخفض عنها أبو بكر وعمر.

١٢- لم يحضر بدرا ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان[٥].

١٣- لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان [٦].

اتهمت السبئية عثمان بتعطيل الحدود أو أبطال الحدود [٧]. خاصة أنـه لـم

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦.

(٣) اليعقوبى ص ١٧٣.

(٤) المصدر السابق ١٩٥.

(٥) ابن أعثم الكوفى : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٣، ٤٠٤.

(٦) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص١٦٣.

(٧) الحدود كما هو معروف في الشريعة الإسلامية ليس للقاضى فيها حق التعزير لأنها حق من حقوق الله تطبق على جرائم معينة ومحددة، فهى منصوص عليها فى القرآن وإن كانت بعض العقوبات ومنها - عقوبة الزنا وشرب الخمر- لا يوجد لها نص في القرآن . وأشيع أن عثمان لم يوفق فى حالتين من تطبيق الحدود وهما الأخذ بالثأر من عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان واكتفى عثمان بدفع الدية من ماله الخاص. والحالة الثانية هى قضية الوليد ابن عقبه أمير الكوفة وشربه الخمر فاتهم بأنه أبطل الحدود . الإمامه والسياسة جـ ١ ص ٣٥. وقد ذكر الطبرى أن عثمان أمر سعيد بن العاص فجلده . جـ٤ ص٢٧٦.

يجلد أخيه الوليد ابن عقبة[١] والى الكوفة وإكتفى بعزله مع أن الحدود متضمنة في كتاب الله وأن اقامتها مرتبطة باقامة كتاب الله . ولقد فند القاضى أبو بكر بن العربى تلك الاتهامات[٢]. نقطة نقطة وأثبت براءة سيدنا عثمان رضى الله عنه مما يدعو إلي الثورة عليه. وفى ذلك يقول:" هذا كله باطل سندا ومتنا"[٣].

المنطلق الثانى :

سعى ابن سبأ بالفتنة بين بلدان المسلمين فقال لهم فيما يقول:" العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع[٤]، وقد قال عز وجل :" إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" [٥] فوضع لهم بذلك " الرجعة فانتشرت بين المسلمين وتكلموا فيها واعتنقها الرافضة".

ثم قال لهم ان لكل نبى وصى وكان علىّ وصىّ محمد، فهذا آخر الأنبياء، وذاك آخر الأوصياء . وقال فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (صلعم) ووثب

---

(١) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة ج١ ص ٣٥، وقد ذكر اليعقوبى أن الناس أحجموا عن ضربه لقرابته من عثمان فقام على فضربه. دون تحديد لكم أو لكيف ضربه: تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٦٥.

(٢) ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٦.

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

(٤) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠. الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٥٠.

(٥) سورة القصص آيه ٨٥.

على وصىّ رسول الله . وتناول أمر الأمة وأظهر لهم أن عثمان أخذها بغير حق وناشد المسلمين أن يحركوا هذا الأمر ويغيروه قائلا: " فانهضوا [١] فى هذا الأمر وحركوه وابدئوا بالطعن على أمرائكم، واظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر استميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر" وبث دعاته وكاتبوا رجالهم وأعوانهم فى الأمصار المختلفة . ودعوا فى السر الى ماعليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير مايظهرون [٢]. ويسرون غير مايعلنون[٣].

إجتمعت تلك الوفود الثائرة بالمدينة جميعهم متفقون فى الثورة على عثمان، مظهرون الخلاف له. وإشتد ساعد الفتنة فى المدينة. وملؤوها كلاما فى حق عثمان وولاته[٤] ورغم أن عثمان أعلن توبته [٥] فوق المنبر ورفض إقتراحات معاوية واستجاب[٦] لكثير من مطالبهم وإستعمل على مصر محمد بن أبى بكر حسب رغبتهم [٧] وكتب له عهده، وخرج محمد ومن معه يريدون مصر وانصرف الجميع راجعين .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤١.

(٢) المصدر السابق : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص ٧٧.

(٣) الطبرى ج٤ ص ٣٤١. الأشعرى مقالات الإسلاميين ج١ ص٥٠ وما بعدها

(٤) ابن أعثم الكوفى : كتاب الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠ وما بعدها.

(٥) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٣٤.

(٦) الطبرى : الأمم والملوك حوادث ٣٥ هـ . المسعودى : مروج الذهب ج٢ ص ٣٥٣.

(٧) ابن أعثم الكوفى : كتاب الفتوح المجلد الأول ص ٤١٠-٤١٤.

وفجأة يعم التكبير نواحى المدينة وقد أحيط بدار عثمان، وجاء الناس وفيهم على بن أبى طالب ، وسأل المصريين ما الذى أرجعكم بعد ذهابكم ؟ فأخبروه بقصة الكتاب الذى كان مع البريد والذى يحمله خادم عثمان [١] ولما سأل أهل البصرة عن سبب رجوعهم قالوا لنصرة إخواننا. وكذلك أجاب وفد الكوفة، وتعجب محمد بن مسلمة وعلى بن أبى طالب متسائلا: كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم من صاحبه على مراحل حتى رجعتم الينا جميعا؟ هذا أمر ابرم بليل . فقالوا إجعلوه حيث شئتم. لا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتز لنا [٢].

ورغم مرور القرون لم نجد بين ثنايا المصادر التاريخية اجابة لهذا التساؤل وهو كيفية رجوع هذه الوفود معا بعد افتراقها وبعد أن اتخذت كل منها طريقا مختلفا عن الأخرى مسيرة ثلاث ليال.

كان الثوار يأملون أن يطول حصارهم لضمان أن يبقى عثمان مستعدا للتنازل عن الخلافة إذا ما إشتد به وياسرته الجوع. وبعد حصار دام عشرة أسابيع لمنزل الخليفة انتشر فى المدينة فى الثامن عشر من ذى الحجة عام ٣٥هـ ان قوات مسلحة أرسلت من قبل ولاة البصرة ودمشق ومصر وإنها قدمت لنصرة عثمان ومساعدته [٣] وإن تلك القوات على وشك الوصول فلم يعد التأخير والتـوانى جائزا

---

(١) الطبرى : الآمم والملوك جـ ٤ ص ٣٥١.

المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ٣٥٣.

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٣٥١.

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ص ٣٩٥هـ. بطروشوفسكى : الإسلام في إيران ص ٨٩.

لذلك أسرع الثوار وهاجموا منزل الخليفة من أسقف المنازل المجاورة وفرقوا حراسة وقتلوه فى نهاية الأمر.

ترى من الذي أشاع ذلك الخبر فى المدينة فى ذلك اليوم؟ ولماذا؟ من الواضح أن من أشاع ذلك إنما كان يؤجج نار الفتنة لتنبعث مستعرة لا تبقى ولا تذر. ان من اشاع ذلك الخبر إنما كان يسعى جاهدا أن يضيع الإسلام بين المسلمين حين يصير بأسهم بينهم شديد فينشغلوا بصراعاتهم عن بث تلك الدعوة بين الأمم. ومن ثم يتوقف المد الإسلامى المتد عبر العالم. وتنحسر موجة الفتح الإسلامى لتجد عقائدهم وأديانهم متسعا ومتنفسا. كان كيداً وتآمرا ومخططا ناجحا ضد الإسلام(١).

لقد دافع عثمان رضى الله عنه كثيرا عن نفسه، وكتب للناس كتابا قرأه عليهم ابن عباس يوم الترويه (٢). وأكثر من الرضوخ الى مطالبهم(٣) وأعلن توبته على المنبر(٤). وكلما سد بابا فتحوا غيره . ولم ينتهوا حتى قتلوا الخليفة رضى الله عنه . وثلموا فى الإسلام ثلمة لا تسد إلى يوم القيامة . أشعلوا نار الفتنة وتحقق غرضهم فى بث الفرقة بين المسلمين فتوقفت بذلك حركة الفتـــــح

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٣٤٢- ٣٤٣.

الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ١ ص ١١.

(٢) ابن أعثم الكوفى : الفتوح المجلد الأول ص ٤١٣-٤١٤.

(٣) ابن أعثم الكوفى : الفتوح مجلد ١ص ٤٠٦، ٤١٨.

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص ٣٤.

الإسلامى [١] ولقد ثبت تاريخيا ان ابن سبأ تنقل فى جميع أنحاء العالم الإسلامى هو ورفاقه ناشرين تلك الآراء التى اتخذت شقين: شق تناول عثمان وولاته بالعيب والنقض وشق تناول أحقية على فى الخلافة التي اغتصبت منه منذ وفاة النبى ، مع بعض الأفكار الخاصة بالتشيع[٢].

باختصار هذا المخطط اليهودى كان يهدف الى بث الفرقة بين المسلمين وإشاعة الفتنة وتفريق كلمتهم وإضعاف شوكتهم بنشر التشيع[٣] وتطور التشيع على أيديهم وخرج عن الفكر الإسلامى الصحيح وعن العقيدة الإسلامية وتحالفت المؤامرات اليهودية مع كيد المجوسيه ضد الإسلام والمسلمين. فكان الصراع الشيعي السني على مر العصور[٤].

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٠ ومابعدها.

(٣) بطروشوفسكى : الإسلام في إيران ص ٨٥.

(٤) فلهرزن: الخوارج والشيعة ص ١٧٦.

ب - المرحلة الثانية
السبئية فى خلافة علىّ

لم ينته دور السبئية بمقتل عثمان وتولية علىّ رضى الله عنهما ولم تنته مؤامراتهم، بل انتهت فقط المرحلة الأولى منها. سيستمر ابن سبأ وأعوانه فى تنفيذ بقية المخطط السيىء اليهودى. فبعد تولية علىّ الخلافة دخلت السبئية مرحلة جديدة من تآمرها .

بقيت المدينة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب[1] يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بأمر الخلافة فلا يجدونه وكانت الكلمة العليا فى المدينة آنذاك للثوار . والأمر النافذ لهم. وعلى رأسهم المصريون وفيهم ابن سبأ وأعوانه وكان الثوار قبائل متباينة من الأمصار وانضم إليهم عبيد أهل المدينة وكذلك كثير من أهل المياه أى أعراب شبه الجزيرة وهؤلاء الثوار وإن اتفقوا على خلع عثمان، فهم لم يتفقوا على شخص الخليفة الجديد. فقد كان هوى المصريين مع طلحة، والكوفيين مع الزبير ، ولم يكن فى نظر جمهور السبئية أليق للخلافة من علىّ فأخذ المصريون يلحون عليه يعرضون الخلافة وهو يهرب منهم[2] وبذلك وقف السبئية فى صفوف علىّ مما سيكون له أكبر الأثر فى مجريات الحوادث بعد ذلك ؟

فانضمام هؤلاء الثوار إلى صفوف علىّ أثار المعارضة ضده ، وشكك فى موقفه "وكان سبباً فى انقسام كلمة المسلمين .

---

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص١٤٠. ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص٩٣ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ٩٨-١٠١.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٧ .

ذهب الناس إلى عليّ يعرضون عليه الخلافة فرفضها فألحوا عليه[١] وبايعه الناس وتمت له البيعة أواخر الحجة سنة ٣٥ هـ[٢] من أهل المدينة كما بويع الخلفاء من قبله . وإن كان هناك أفراداً قلائل لم يبايعوا[٣] .

وإذا كانت رغبة السبئية ومن سار في ركبهم هي تولية عليّ الخلافة، فقد تولاها وتحقق هدفهم. وكان من المفروض ومن المتوقع - إن كانت نواياهم حسنه - أن يركنوا إلى الهدوء وتضميد الجراح ولم الشمل لمعاونة عليّ ومؤازرته، لكن ماحدث جاء عكس ذلك تماماً .

صعد عليّ المنبر وألقى أول خطبه له بعد البيعة بالخلافة تحدث فيها عن كتاب الله الذي أنزله هديا للإنسان. وتحدث عن الخير والشر وأوصى الناس بعمل الخير. كما تناول ماحرمه الله فذكر ان حرمة المسلم أفضل الحُرم كلها. وأنه لايحل أذى المسلم. وأوصى بتقوى الله وطاعته وذكّر بمسؤولية الإنسان أمام الله. وهو بذلك يريد أن يقول لهم ارجعوا إلي العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] وأقبلوا على الآخرة وأعرضوا عن الدنيا وولوها ظهوركم. ولما انتهى عليّ من خطابه وأراد العودة إلى منزله قالت السبئية [٥]:

---

(١) الطبري : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٢٧ ومابعدها ، ص٤٣٤ . ابن طباطبا : الفخري ص٨٤ - ٨٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص١٧٨ ومابعدها . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر المجلد ١ ص١٧١.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٧ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ١ ص٥٠ .

(٥) الطبري : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٧ .

خذها إليك واحذراً أبا حسنْ | إنا نُمرّ الأمْر إمْرار الرّسَن
صولَةَ أقْوم كأسْدَاد السُفُن | بمشْرفيات كغُدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن | حتى يمرَنَ على غير عَنَنَ [١]

وذكر ابن كثير أن عليا رد عليهم بقوله :

إنى عجزتُ عجزةً لاأعتذرْ | سوف أكيسُ بعدها وأستمر
ارفع من ذيلى ماكنت أجر | وأجمع الأمر الشتيت المنتشر
إن لم يشاغبنى العجول المنتصر | أو يتركونى والسلاح يبتدر

كان لمقتل عثمان رضى الله عنه دوى هائل فى أنحاء الدولة الإسلامية، ورفض عارم لما حدث، وذهول من كيفية حدوثه. وكانت أول وأهم قضية تواجه الخليفة الجديد هى إقامة الحد على مغتالى عثمان والثأر له .

ولما كانت المدينة فى أيدى الثوار ومن تبعهم من الأعراب والعبيد وليس باستطاعة علىّ إحكام قبضته عليها . ولابوسعه السيطرة عليها . فالفوغاء والأعراب والثوار قَتَلَه عثمان يملأونها وليست لديه قوات يواجههم بها. كما كان لديه إحساس بأن هناك من خلفهم، عقلا مدبرا، وتنظيما دقيقاً وأن لهم مدداً وأعوانا [٢] . لذلك رأى مواجهة الموقف بالحكمة والتؤده حتى يستبين الأمر وينكشف .

وكان على يرفض كل ماحدث ولايقر منه شيئاً وكان يكره الثوار، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ويقيم الحد عليهم، لكنه تربص بهم الدوائر [٣] ريثما يسيطر على الموقف، ويصير زمام الأمور بيديه . لذلك آثر مواجهة هؤلاء باللين، لابالقوة فاتخذ معهم سياسة المسالمة.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٦ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٠٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص٢٣٠ .

اجتمع إلى عليّ بعض الصحابة إثر بيعته بالخلافة وتحدثوا إليه فى أمر الثوار وإشتراكهم فى قتل عثمان، وكيف أحلوا قتل الخليفة بجرأة كما تناول المجتمعون أمر إقامة الحدود على القتلة، ورد عليهم عليّ موضحاً مدى سيطرة هؤلاء الثوار على المدينة بعد أن أثاروا الناس خاصة العبيد والأعراب، واعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان وأنه لايمكنه ذلك في هذا الوقت، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحه أن يوليه إمره البصرة ليأتيه منها بالجنود [١] ليتقوى بها على هؤلاء الغوغاء من السبئيه وأعوانهم. فقال لهما مهلاً حتى أنظر فى هذا الأمر [٢] حين يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق [٣] .

تدارس المجتمعون الموقف وأقروا بأنه لاطاقة لهم بإقامة الحدود فى تلك الآونة خشية اشتعال الفتنة، وفرقة الناس حول هذا الأمر. ووجود هؤلاء الثوار بالمدينة . ووعدهم على بأنه سيلتزم برأيهم الذى يجمعون عليه إن شاء الله [٤] .

حاول عليّ معالجة الموقف وتهدئة الأحوال بفض هذه الجموع التى تجمعت بالمدينة توطئة لعودة الأمور إلى حالتها الطبيعية. ومن فوق المنبر توّعد عليّ العبيد المنضمين إلى الثوار، وطالبهم بالتراجع عن ذلك الموقف وأعلن براءة الذمة من أى عبد لايرجع إلى مواليه [٥] . وهنا ثارت السبئية والأعراب وتذمروا رافضين انصراف العبيد. تآمرت السبئية والأعراب خشية أن يتخذ الخليفة منهم موقفاً مشابهاً فيما [٦] بعـــد.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٩ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٧ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٦ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٠٠ .

(٦) المصدر السابق . ص٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ١٠٠ - ١٠١ .

وهذا مما يوضح موقف السبئية المناوىء لخلافة علىّ وللدولة الإسلامية . وتلك نقطة جوهرية توضح نوايا السبئية تجاه الإسلام ودولته .

ذكر الطبرى أن عليا فى اليوم الثالث من خلافته خرج على الناس وطالبهم بإخراج الأعراب من بينهم ليلحقوا بأرضهم ويغادروا المدينة. كما ناشد الخليفة الأعراب ضرورة تنفيذ أمره بعودتهم إلى بلدانهم واللحاق بأرضهم ومياههم ومغادرة المدينة. ومرة أخرى تقف السبئية موقفاً مشبوهاً حين ترفض أمر الخليفة وتعارضه فى ذلك، وتأبى خروج الأعراب من المدينة[١] وتحضهم على البقاء فيها وتغريهم عليه ويستجيب الأعراب لرغبة السبئية ويطيعونهم ولايغادرون المدينة.

أبت السبئية وأطاعهم الأعراب رافضين تنفيذ أوامر الخليفة الرامية إلى تهدئة الموقف والعودة بالأوضاع إلى حالتها الطبيعية. وتلك نقطة خطيرة أيضاً توضح نوايا السبئية تجاه الإسلام ودولته . وهنا نتوقف لنناقش الموقف .

إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه تلك الأحداث وآووا فيه المحدثين مع مانالوا من قتل إمام المسلمين بلا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فلماذا يتمسك السبئية ببقاء الأعراب والغوغاء بالمدينة؟؟ لماذا يصرون ويحرصون على بقاء تلك الجموع الثائرة وتلك الأوضاع القلقة بالمدينة ؟؟ لابد أن لهم مآرب تتحقق فى ظل الغوغاء والأعراب لن يتمكنوا من تحقيقها فى ظل الهدوء والاستقرار. لذلك عارضوا أوامر الخليفة ورغبته فى تصفية التجمعات الثائره، ورجوع الاعراب إلى مياههم وأرضهم .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٣٨ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٠١ .

أدرك بعض أهل المدينة الدور الخبيث الذى لعبته السبئية فى خلافة عثمان حتى انتهت بالفتنة الكبرى ومقتله، والدور الخبيث الذى تلعبه الآن . فقد ذكر الطبرى(١) أنه بعد مقتل عثمان اجتمع بنو أمية فى مكة ومعهم يعلى بن منية(٢) وطلحه والزبير، وبعد دراسة الموقف اجتمعت كلمتهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا لما حدث بالمدينة.

فقد قدم طلحة والزبير من المدينة إلى مكة، فلقيا عائشة، فقالت : ماوراءكما ؟ فقالا : إننا تحملنا هُرابا من المدينة، من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى، لايعرفون حقاً، ولاينكرون باطلا، ولايمنعون أنفسهم . فقالت : إنهضوا إلى هذه الغوغاء فى المدينة نطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فنقتلهم(٣) . وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هناك بالخيل والرجال ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرأى على ذلك .

وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة، فلما اتفق الرأى على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة وجهز الناس يعلى بن أميه(٤) . وأمرتهم عائشة رضى الله عنها بالخروج إلى المدينة، وأجمع القوم على البصرة(٥) وردوها عن رأيها. ولايعنينا هنا أين اتجهوا، وإنما

---

(١) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٥٤ . القلقشندى : مآثر الإنافة جـ١ ص١٠٢ .

(٢) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر المجلد الأول ص١٧٢ . ويعلى بن منيه هو الذى تذكره المصادر الأخرى باسم يعلى بن أميه . ومنية أمه وقد عرف بها كذلك . وهى منيه بنت الحارث بن جابر ، من بنى مازن . وكان عامل عثمان على اليمن. خليفة بن خياط ص١٧٩ ابن عبد ربه: العقد جـ٤ ص٣٢٥.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٥٤ . ابن طباطبا : الفخرى ص٨٦ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص١٧٤ .

الـذى يعنينـا هنا هو شعور بعض أهل المدينة بـدور السبئية المناوىء للدولة. ونلمس هذا الشعور بل نتأكد منه من ربطهم بين الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والثأر وقتال السبئية .

وحينما استقر رأيهم على التوجه إلى البصرة نادى المنادى "إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان[1]" هنا ربط كبير بين الطلب بدم عثمان والثأر وإعزاز الاسلام وقتال السبئية مما يؤكد شعورهم بالدور الذى لعبته ضد الدولة.

علم علىّ رضى الله عنه وهو بالمدينة بأمر خروج طلحة والزبير وعائشة واتجاهم نحو العراق. فقد بعثت إليه أم الفضل بنت الحارث رجلا من جهينة يدعى ظفرا فأستأجرته على أن يطوى المسافة من مكة إلى المدينة حاملاً إلى علىّ رسالة كتبتها إلى بالأنباء[2] . وقيل أن أخيه عقيل[3] بن أبى طالب كان يعتمر بمكة فأرسل إليه كتابا يحمل أنباء توجه طلحه والزبير وعائشة إلى البصرة .

لما علم علىّ بنبأ خروجهم، خرج من المدينة فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦هـ فى تعبئته التى كان قد استعد بها لأهل الشام على أمل أن يدركهم ويردهم إلى المدينة[4] فلما انتهى إلى الربذة[5] علم أنهم قد سبقوه، فأقام بها أياماً حيث أخذ يتجهز ويتهيأ للحاق بهم، ومنعهم من دخولها لتجنب استخدام أى عنف أو مصادمـات

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ص٤٥١ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٠٦ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٥١ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٠٧ .

(٣) ابن قتيبة : الأمامة والسياسة جـ١ ص٥٣ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١١٤. الطبرى جـ٤ ص٤٥٥ .

(٥) هى التى جعلها عمر رضى الله عنه حمى لإبل الصدقة قرب المدينة (البكرى : معجم ماالستعجم جـ١ ص٦٣٣) .

اتباعـاً لسياسة اللين والحكمة لتى ارتآها والتى اتفـق عليها مع بعض الصحابة الذين ناقشوا معه القضية فور مبايعته بالخلافة(١) . وأرسل إلى المدينة فلحقه من أراد (٢).

ويبدو أن عليا رضى الله عنه كان يستشعر مدى خطورة تحركات السبئية على الدولة الإسلامية واتساع دائرة انتشارهم وبعد مراميهم الهدامة فأخذ يحذر الناس ويوجههم إلى مايجب عليهم أن يفعلوه حفاظاً على وحدة وسلامة الأمة فخطبهم قائلاً : "إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ(٣) بين هذه الأمة، ألا إن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من شر ماهو كائن. ثم عاد ثانية، فقال : إنه لابد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها تنتحلنى ولاتعمل بعملى، فقد أدركتم ورأيتم(٤) فالزموا دينكم واهدوا بهدى نبيكم صلى الله عليه وسلم، واتبعوا سنته، وأعرضوا ماأشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فألزموه وماأنكره فردوه، وارضوا بالله جلّ وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن حكما وإماما" (٥) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٢٨ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٧٨ .

(٣) نزغه : حركه ، ونزع بينهم : أفسد وأغرى .

(٤) هنا إشارة إلى الدور الخفى الذى تلعبه السبئية.

(٥) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٧٩ . ابن الأثير الكامل جـ٣ ص١١٥ .

ثم سار حتى نزل بذى قار[١] حيث وافاه عثمان بن حنيف عامله على البصرة وأخبره بما صنع حكيم ابن جبلة، وماكان من قتلهم، قتلة عثمان وكل من غزا المدينة من البصرة فأقام علىّ بذى قار وأرسل لأهل الكوفة، فقد تطور الموقف .

دور السبئية فى وقعة الجمل :

من المؤكد والثابت أن كلا الفريقين طلحة والزبير وعائشة من ناحية وعلىّ من ناحية أخرى، لم يكن أيا منهما يريد حرب الآخر ولم تكن حرب الجمل فى مخططهما على الإطلاق[٢] فقد شعر هذا الفريق بخطورة السبئية كحركة مناوئه للإسلام ورأوا ضرورة مواجهتها والتصدى لها بالقوة لوضع حد لنشاطها الهدام والقضاء عليها بالقوة ووضع نهاية لتلك الحركة، وهو سبيل الإصلاح فى نظرهم[٣] .

فقد أورد الطبرى شيخ المؤرخين المسلمين مايفيد ذلك فى عدة مواقع مثل : "فنادى المنادى إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان[٤]" وفى موضع آخر يقول : "لما اجتمع إلي مكة بنو أمية ويعلى بن منية وطلحة والزبير ، ائتمروا أمرهم، وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينتقموا.."[٥] وفى موضع آخر على لسان عائشة يقول : "فخرجْت فى المسلمين أعْلمهم ماأتى هؤلاء القوم ومافيه الناس وراءنا، وماينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا ... ننهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكـــر

---

(١) ذى قار : ماء لبكر قريب من الكوفة.

(٢) تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص١٨١ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٦٢ .

(٤) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٥١ ، وقد ذكر ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة مايؤيد ذلك جـ١ ص٧٠ .

(٥) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٥٤ . أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر المجلد الأول ص١٧٢ .

والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره"(١) وفى موضع آخر يقول فى معرض حديثه عما حدث فى البصرة:" وقالت عائشة : لاتقتلوا إلا من قاتلكم، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضى الله عنه فليكفف عنا، فإنا لانريد إلا قتلة عثمان ولانبدأ أحداً.."(٢) ثم يسترسل قائلاً : ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : "إلا من كان فيهم من قبائكلم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجيء بهم كما يُجاء بالكلاب، فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعا إلا حرقوص بن زهير فإن بنى سعد منعوه". وكان من بنى سعد(٣) وقال فى موضع آخر على لسان عائشة : " ... قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده، فأجابنا الصالحون إلى ذلك، واستقبلنا من لاخير فيه بالسلاح، وقالوا لنتبعنكم عثمان، ليزيدوا الحدود تعطيلا..(٤) والمقصود هنا بكلمة "من لاخير فيه" هم السبئية ومن شارك فى قتل عثمان رضى الله عنه. وكان قد تصدى لهم حكيم بن جبلة وهو أحد من باشر قتل عثمان فى ثلاثمائه ممن شارك فى فتنة عثمان بالمدينة(٥).

وذكر ابن قتيبه أنه فور وصول طلحه والزبير وعائشة البصرة استقبلهم الناس يقولون : ياأم المؤمنين، مالذى أخرجك من بيتك ؟ فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فتحدثت إليهم وأشارت إلى وجوب النظر إلى قتلة عثمان كل من شارك فى ذلك فيقتلوا به.(٦) وفيهم السبئية.

---

(١) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٦٢ .

(٢) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٧٠. (وقد ذكر ابن قتيبه نفس الرواية. الإمامة والسياسة جـ١ ص٦٤).

(٣) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٧٢ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١١٢ .

(٤) الأمم والملوك : ج٤ ص٤٧٣ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهائية جـ٧ ص٢٣٣ .

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص٦٤ .

من كل النصوص السابقة نتأكد أن هذا الفريق لم يكن يعمد أبدا إلى حرب علي في معركة الجمل إنما كانت هناك عوامل أخرى ساقت وأدت إليها كما سنرى فيما بعد . ومن الجدير بالذكر أن إقامه الحد، ومواجهة الحركة بالقوة، إنما هي للإمام أو الخليفة الذي تمت بيعته فهو صاحب القرار شرعا ولا ينبغي النهوض إلا في طاعته.

وكذلك فإن عليا أيضاً لم يكن ينوي الحرب إطلاقاً . ذكر الطبري أن عليا رضي الله عنه لما أراد الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع، فقال : ياأمير المؤمنين ، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال : فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال : فإن لم يرضوا؟ قال : ندعهم ماتركونا ، قال : فإن لم يتركونا : قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذا ..."[1] .

لما حضر أهل الكوفة إلى معسكر علي بذي قار؟ دعا علي القعقاع من ساداتهم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : إلق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة .

وقدم القعقاع البصرة فبدأ بعائشة وقال لها : أي أمة ماأشخصك وماأقدمك هذه البلدة؟ قالت : أي بني، إصلاح بين الناس[2] . قال فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما . فبعثت إليهما فجاءا فقال : إني سألت أم المؤمنين ماأشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت إصلاح بين الناس. فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان؟ فقالا متابعان . فقال : فأخبراني ماوجه هذا الأصلاح فو الله

(١) السابق ص٤٧٩. ابن الأثير: الكامل جـ٣ ص١١٥.

(٢) ابن قتيبة : الأمامة والسياسية جـ١ ص٧٠ . الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص٤٨٨ ومابعدها.

إن عرفناه لنصلحن وإن انكرناه لانصلح ، فقالا : قتلة عثمان(١) فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن وإن عمل كان إحياء للقرآن، فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم . قتلتم ستمائة رجل إلا رجلاً، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم الذى أفلت (حرقوص بن زهير) فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون.

فقالا وقالت عائشة(٢) : فما دواء هذا الأمر ؟ فقال لاأرى دواء لهذا الأمر إلا التسكين وإذا سكن اختلجوا فإن انتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر(٣) هذا الرجل وعافية وسلامة لهذه الأمة وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافة كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله فى هذه الأمة هزاهز، فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير ولاتعرضونا للبلاء ولاتعرضوا له فيصرعنا وإياكم. وأيم الله إنى لأقول هذا وأدعوكم إليه وإنى خائف أن لايتم حتى يأخذ الله من هذه الأمة التى قل متاعها ونزل بها مانزل. فإن هذا الأمر الذى حدث أمر ليس يُقدّر وليس كالأمور ولاكقتل الرجل الرجل، ولاالنفر الرجل، ولاالقبيلة الرجل.

فقالوا له : نعم قد أحسنت وأصبت، فإن جاء علىّ بمثل ماقلت صُلح هذا الأمر . فرجع القعقاع إلى علىّ فأخبره بما عندهم فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.(٤)

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص١٧٤ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٤٨٨ - ٤٨٩.
ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١١٩ - ١٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٨ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٨٩ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١١٩ .

ولو أمعننا النظر فى هذه السفارة التى قام بها القعقاع. نجد أنه أداها خير تأدية، فقد نقل وجهة نظر علىّ وعبرّ عنها بدقة حتى تلاقت وجهات النظر فقد اتفقوا على مافيه مصلحة الأمة بنبذ الفرقة التى جهدت السبئية حتى أوجدتها، وآثروا اجتماع الكلمة[١] ورتق الفتق وتضميد الجراح .

ومن ناحية أخرى فقد أقبلت وفود قبائل البصرة نحو علىّ حين نزل بذى قار، فجاءت وفود تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا مارأى إخوانهم من أهل الكوفة ولماذا نهضوا إليهم، ومن ناحية أخرى ليُعْلموهم أن الذى عليه رأيهم هو الإصلاح، وأنه لايخطر القتال على بالهم ولاهو فى نيتهم . فلقوا عشائر أهل الكوفة وأخبروهم نيتهم، فقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وقدموهم لعلى وأخبروه خبرهم[٢] .

هكذا التقت وجهات النظر من كلا الجانبين. التقت وفود قبائل البصرة، بوفود قبائل الكوفة وكلهم لايريدون الحرب ولايميلون إليها بل لايتوقعونها فقد عبرت جميع القوى عن نواياها المنطويه على الإصلاح والسلام فأمن القوم بعضهم بعضا[٣] .

بعد أن رجع القعقاع من البصرة إلى علىّ بذى قار، واطمأن على حين تقاربت وجهات النظر. وتفّهم الفريقان لحقيقة الموقف، جمع علىّ الناس وقام خطيباً وكأنما أراد أن يوضح الموقف للناس تمام الإيضاح كيلا يلتبس الأمر عليهم وحتى لايقعوا فريسة سهلة فى شباك التآمر السبىء الذى كان يشعر به علىّ وإن لم يقف على مصدره أو تفاصيله أو من أين يأتى أو من أين يؤتى[٤] كان يشعر رضى الله عنه أن هناك شيئاً يحدث ، تآمرا ماعلى وحدة هذه الأمة وإن لم تتضح القوى الرئيسية التى تخطط له. كان ببصيرته وذكائه يرى سحباً كثيفة فى الأفق وإن لم يعلم مصدرها،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٨ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٨٩ .

(٣) المصدر السابق . ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص٨٧ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص١٤٥ .

يستشعرها ويستشفها فحاول فى خطابه أن يلفت أنظار المسلمين إليها حتى يحذروها. فخطبهم : "حمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه، ثم الذى يليه، ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها والله بالغ أمره"(١) .

فى هذا الجزء من نص خطاب علىّ نراه يتحدث عن السبئية محذراً المسلمين من أخطارها وتآمرها، موضحاً نواياها المعادية للإسلام ودولته ولعل بقية الخطاب تكون أكثر وضوحاً وذلك حين يقول رضى الله عنه "ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا ولايرتحلن أحد أعان على عثمان بشىء من أمور الناس وليغن السفاء عنى أنفسهم"(٢) .

فى هذا الجزء من حديث علىّ ، يوضح رضى الله عنه العلاقة بين المتآمرين على الدولة وبين قتلة عثمان ومن أعانهم وقد سماهم أو أطلق عليهم "السفاء" وهم الذين نطلق عليهم إسم "السبئية" . كان يشعر رضى الله عنه أن الخطر إنما يأتى من هذه الجبهة التى خططت لقتل عثمان رضى الله عنه والتى أعانت على قتله وأن المتآمرين على الدولة الإسلامية ووحدتها إنما إندسوا بين هؤلاء وهم الذين يحركون الأمور ويخلقون المشاكل من وراء ستار فرأى أن أفضل وسيلة للحدّ من كيدهم وتآمرهم، والتخلص من دسائسهم هى إبعادهم عن مسرح الأحداث وإخراجهم من الحلبة حتى تسير الأمور سيرها الطبيعى بعيداً عن تأثيراتهم وعلى ذلك أصدر قراره وطلب

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٣ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٢٠ .

(٢) المصدرين السابقين . ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص [illegible]٩

منهم عدم صحبته فى إرتحاله فى الغد من الكوفه إلى البصرة لعله يتجنب خططهم الهدامة .

ومن ناحية أخرى فقد اتفق علىّ مع فريق المعارضة على الصلح وتوحيد الصف تفويتاً للفرصة على المتآمرين. ولأنه يعلم أن المعارضة إنما خرجت إلى البصرة للثأر من قتلة عثمان الذين غزوا المدينة أى "السبئية" وللإختلاف في وجهات النظر حول أسلوب وكيفية التصدى لهذه الفئة بينه وبين المعارضة، لذلك كان عليه أن يبعدهم عن جيشه، وأن يذهب لملاقاة فريق المعارضة بالبصرة وليس بين صفوفه واحداً من هؤلاء وعلى ذلك طلب منهم صراحة ألا يرتحلوا معه وهو متجه فى الغد إلى البصرة فقال قولته السابقة(١) وهذا مما يؤكد أنه لم يكن ينوى حرباً على الأطلاق .

ويبدوا أن خلايا السبئية كانت أوسع انتشارا من أن يحصيها الخليفة فى تلك الظروف، وكانت أعمق جذوراً وأكثر امتدادا من أن يسيطر عليها أو يجتثها فى تلك الآونة. وأن الهيئة المنظمة لها ولحركاتها كانت محكمة التنظيم بالغة السرية .

وعلى ذلك فعلىّ وإن طلب منهم عدم صحبته فى ارتحاله وتحركاته إلا أنه لم يكن يملك تنفيذ هذا القرار فى ظل تلك الظروف العصيبة المضطربة . ولم تكن له أجهزة تقوم بهذا الدور .

بعد خطاب علىّ الذى تحدث فيه عن المتآمرين الذين أرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها(٢) والذين شاركوا فى الفتنة ومقتل عثمان والذين سماهم "السفهاء" وأنذرهم بالابتعاد(٣) بعد أن كشفهم ووضح أمرهم للمسلمين وحذرهم من كيدهم.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٣. ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٢٠ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٤٩٣. ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٢٠.

(٣) المصدرين السابقين .

شعر السبئية بافتضاح أمرهم وانكشاف سترهم وخشوا مغبة ذلك وأن يحذرهم المسلمون، فلا يتم تنفيذ بقية المخطط السبئى اليهودى ضد الأمة، أو أن يقعوا تحت طائلة الحساب والعقاب .

وبعد أن صار أمر الصلح وشيكا[١] بنجاح السفارات التى تمت بين علىّ من ناحية وبين طلحة والزبير من ناحية أخرى وظهر اجتماع الكلمة وأصبح الفريقان لايشكون فى الصلح وأمن الناس بعضهم بعضاً وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التى أشرفوا عليها[٢] واختفت نذر الحرب وبدا الأمر كما لو كانت سحابة صيف وانقشعت. هنا أشفق السبئية على أنفسهم فحياتهم ونجاحهم لايكون إلا باستمرار الشقاق والنزاع بين علىّ وخصومه فباتوا أسوأ[٣] ليلة خشية على حياتهم وعلى مخططهم وقد صاروا فى خطر لذلك قرر السبئية عقد اجتماع[٤] لمناقشة موقفهم وماالستجد على ساحة الأحداث .

اجتمع السبئية بزعامة ابن السوداء[٥] وحضر الاجتماع بطبيعة الحال من شاركوا في مقتل عثمان، من سار إلى عثمان ومن رضى بسير من سار، ومن أبرز الحاضرين – علباء بن الهيثم ، وعدى بن حاتم، وسالم بن ثعلبه القيسى وشريح بن أوفى. والأشتر . وخالد بن ملجم وابن السوداء[٦] . وغيرهم فى ألفين وخمسمائة

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٨٩ . ابن طباطبا : الفخرى ص٨٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٣ ص١٢٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٤٠ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٣ .

(٥) عرف ابن سبأ بابن السوداء وهو يهودى . الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ١ ص١١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٣ ص١٢٠ .

ليس فيهم صحابى ولله الحمد. فقالوا : ماهذا الرأى ؟ غدا يجتمع عليكم الناس[١].

أخذ المجتمعون فى دراسة الموقف الذى باتوا فيه والخطر المحدق بهم إذا ماتم الصلح وماهو المخرج لهم من هذا الموقف ، طرحت آراء واقتراحات على بساط البحث تمت مناقشتها واستعرضوا جميع الاحتمالات حتى استقروا معاً على أفضل رأى صائب.

وقد أورد الطبرى[٢] تفاصيل ذلك الحوار الذى يوضح مدى التآمر ضد وحدة الأمة الإسلامية والكيد والخديعة والخطط السبئية الهدامة للإسلام ودولته. ومن الجدير بالذكر ان ابن سبأ هو الذى كان يرأس هذا الاجتماع فكلما طرح أحد المجتمعين فكرة أو رأيا كان ابن سبأ يرد عليه مناقشاً مفندا رافضاً. فكانت له الكلمة الفاصلة والرأى الأخير .

تناول الطبرى اجتماع السبئية بقوله : "تشاوروا ، فقالوا : ماالرأى ؟ وهذا والله علىّ ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول مايقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القوم وشاموه، وإذا رأوا قلتنا فى كثرتهم ! أنتم والله تُرادون، وماأنتم بأنجى من شىء.."[٣]

ومن أهم الآراء التى طرحت تلك الليلة، اقتراح الأشتر بقتل علىّ وطلحة لإشعال فتنة كبرى مثل ماحدث عند مقتل عثمان فإذا اشتدت الفتنة سيرضى المسلمون فى النهاية بمجرد الهدوء. سيكون الهدوء والسكون غاية المسلمين ولن يبحثوا فى أى تفاصيل، ولكن عبد اللـه بن سبـأ[٤] رفض ذلك الاقتراح ووضح لهـم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ .

(٢) الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٣ .

(٣) المصدر السابق . ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص٤٩٤ . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٣ ص١٢٠ .

نتائجه السيئة . قائلاً : بئس مارأيت ، لو قتلناه ، قُتلنا ، فإنا يامعشر قتلة عثمان فى ألفين وخمسمائه، وطلحه والزبير وأصحابهما فى خمسة آلاف، لاطاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم[١] .

أما علباء بن الهيثم فقد اقترح على السبئية أن ينصرفوا عن علىّ ويتكروه مما يقلل عدد أتباعه وبالتالى يقوى أعدائه ويشجعهم على حربه ويَغريهم به، بينما إذا كثر جيش علىّ والمنضمين له سيكون ذلك مما يقويهم فيخشاهم أعداؤهم ويميلوا لصلحهم وهو ماتأباه السبئية وتخشاه. فرفض عبد الله بن سبأ هذه الفكرة قائلاً:[٢] "بئس مارأيت" وأخذ يوضح له خطورة ذلك الرأى باجتماع السبئية منفردين فى إحدى البلدان. مما يجعلهم هدفا واضحاً وسهلا أمام المسلمين فيكونوا عرضة للانتقام منهم، والقضاء عليهم . قائلاً : والله كان يتخطفكم الناس[٣] .

وفى النهاية وقف ابن سبأ يعلن قرارات الاجتماع فقال : "ياقوم إن عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال : ولاتفرغوهم للنظر، فإذاً من أنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون". فتفرق السبئية على هذا الرأى والناس لايشعرون، ولايدرون بما نووا عليه.[٤]

وصل علىّ بعد ذلك إلى البصرة وقد أضمرت السبئية نيتها على ضرورة إشعال نار الحرب بين الفريقين ائتمرت السبئية وحسموا أمرهم على خطتهم ولايعلم بذلك أى من المعسكرين لاعلىّ ومعسكره، ولاطلحه والزبير ومن معهما بل كان الفريقان كما

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٤ . ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٤٩٤ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ .

ذكرنا فرحين مستبشرين بعقد نيتهما على الصلح لايذكرون ولاينوون إلا الصلح[١] ليجتمع الناس على الخير ويلتئم شمل الأمة .

أرسل علىّ إلى القوم يسألهم إن كنتم على مافارقتم القعقاع عليه فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر[٢] فنزلوا والقوم لايشكون فى الصلح وتبودلت السفارات بين الفريقين[٣] وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم فيها قتال[٤] وكان ذلك فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ وبات الناس مطمئنين إلى السلام والصلح ولما أشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة والهجوم على قتلة عثمان من الكوفين، رفضا ذلك وقالا[٥] : "إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك" فقام السبئية فى الفلس ومايشعر بهم أحد، انسلوا إلى ذلك الأمر تسللا ووضعوا السلاحا فى أهل البصرة فجأة قبل الفجر فثاروا وكان ضجيجاً هائلاً فسأل طلحة والزبير عن الخبر، فقالوا طرقنا أهل الكوفة ليلاً ! فقالا : قد علمنا أن عليا غيرُ منته حتي يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا. وسأل على عن الخبر، وكان السبئيون قد أرصدوا رجلاً قريباً منه يخبره بما يريدون فقال لعلى[٦] "مافَجئنا إلا وقوم منهم بيتونا ، فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس". فقال على: قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وأنهما لن يطاوعانا .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٠٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٢٢ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٩٥ - ٥٠٦. ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢١ - ١٢٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٩ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص٥٠٧ .

وحتى عند هذا الحد ، يحاول عليّ التمسك بأهداب السلام وسياسة التسكين فعندما سمع عليّ هذه المقالة الكاذبة المخادعة من السبئية، نادى فى اتباعه بأن يكفوا تماماً عن أى لون من القتال موضحا لهم أنه ليس هناك شيء يدعو لذلك. (١) وكان من رأيهم جميعاً فى تلك الفتنة أن لايقتتلوا حتى يبدءوا يطلبون بذلك الحجة ويكون لهم الحق على الآخرين ولايقتلوا مدبرا(٢) .

ذكر ابن قتيبة أن عليا خرج على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين فقال : أين ابن الزبير ؟ فخرج إليه حتى إذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا ، ثم قال عليّ ياأبا عبد الله ماجاء بك هاهنا ؟ قال جئت أطلب دم عثمان. قال عليّ : قتل الله من قتل عثمان(٣) وقد أورد اليعقوبى مايؤيد تلك الرواية(٤) وهذا مما يؤكد حسن النوايا ورغبة كلا الفريقين فى السلام والصلح .

كل ذلك والسبئية أصحاب ابن السوداء - ابن سبأ - قبحه الله لايفترون عن القتل(٥) ، ومنادى عليّ ينادى ألا كفوا ، ألا كفوا فلا يسمع أحد .

وحرصاً على السلام بين الفريقين يسرع كعب بن سور قاضى البصرة إلى عائشة رضى الله عنها مستنجداً بها لتهدئة الموقف بين الفريقين قائلاً : "أدركـــى فقد أبى

---

(١) الطبرى : المصدر السابق .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٢٤ .

(٣) الأمامة والسياسة جـ١ ص٦٨ ، ٧٠ .

(٤) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص١٨٢ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٧ ص٢٤٠ .

القوم إلا القتال لعل الله أن يصلح بك"(١) كل ذلك والسبئية لاتفتر ولاتهدأ(٢) وركبت عائشة وألبسوا هودجها الأدراع .

فلما برزت من البيوت لم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة فقالت ماهذا؟ قالوا ضجة العسكر(٣) قالت عائشة : خلِّ ياكعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً . وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يتم الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعليّ من خلفهم يزعهم، ويأبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رموه(٤) ورموا عائشة فى هودجها ، فأخذت تنادى يابنى البقية البقية، ويزداد صوتها علوا الله الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً .

لما رأت عائشة تحركات السبئية ورفضهم الاستجابة لها والخضوع لصوت الضمير والحق، ازداد حنقها عليهم، وقالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وإشياعهم، وأقبلت تدعو، فضج أهل البصرة بالدعاء من خلفها، وسمع عليّ بن أبي طالب الدعاء، فسأل ماهذه الضجة ، فأخبروه أن عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأخذ عليّ يدعو مثلهم بنفس الدعاء "اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم"(٥) .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٠٧ . ابن الأثير : الكامل ج٣، ص١٢٤ .

(٢) المصدرين السابقين .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٠٧ .

(٤) الطبرى : المصدر السابق ص٥١٣ . ابن عبد ربه : القعد لفريد ج٤ ص٣٢٥ .

تاريخ خليفة من خياط ص١٨٥ .

ابن عبد ربه : القصد القريب ج٤ ص٣٢٥ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥١٣ .

لقد ادركت عائشة أن فى الأمر شيئاً غير عادى وأن هناك أصابع تعبث بمقدرات المسلمين، وأن هناك يداً تحرك وتدفع نحو الحرب، وعقلاً يدبر ضد الصلح، ولن يكون هؤلاء سوى المتآمرين من قبل ، أى السبئية قتلة عثمان، فهى تعلم أخلاق علىّ علم اليقين ، وأنه إذا قال صدق، وإذا عاهد أوفى، فكيف يَقدمُ علىّ على الحرب بعد الاتفاق على الصلح؟ وكيف لايستجيب أتباعه لرجائها ونداء السلام بصوتها! لذلك أخذت تدعو[1] على دُعاة الشر، قتلة عثمان لعلها تنبه المسلمين بذلك لخطرهم الذى يهدد الحاضر والمستقبل .

يحمل كعب بن سور قاضى البصرة مصحف عائشة[2] وعلىّ يبادر المسلمين ويناشدهم الله عز وجل حقنا للدماء ويدرك كعب خطورة الموقف وكم هو عصيب فيزداد حماسة، فلما أعُطى درعه رمى بها تحته كما يقول الطبرى وأتى بترسه فتنكبه، فرشقوه رشقا واحداً فقتلوه فى الوقت الذى تمسك فيه فريق طلحه والزبير والبصريون بالصلح والسلام ويقدمون المصحف يحمله كعب بن سور، فى نفس الوقت تمسك علىٌ والكوفيون بالصلح والسلام. يحمل علىّ[3] مصحفاً ويطوف بين أصحاب يطلب منهم أن يحمله أحدهم ليدعوا البصريين إليه. معنى ذلك أن الفريقين راغبان فى السلام داعيان لكتاب الله .

ويتقدم فتى كوفى عليه قباء أبيض يحمل مصحف علىّ[4] . فى حين يستبسل كعب بن سور قاضى البصرة حاملا مصحف عائشة يدعوان إلى الصلح والسلام المتفق عليه فماذا حدث ؟؟ .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢٥ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٢٩ . ابن عبد ربه : العقد الفريق ج٤ ص٣٢٥ .

(٣) الطبرى : الأمم وللملوك ج٤ ص٥١١ .

(٤) المصدر السابق .

سارع السبئية[١] أمام الكوفيين اتباع عليٍّ ودون اكتراث لدعوة السلام، ودون اكتراث بالمصحف يستقبلون الداعيين للسلام بسيوفهم وتقطع اليد اليمنى للفتى الكوفي فيحمل المصحف بيده اليسرى، فقطعوها فأخذه بصدره والدماء تسيل علي قبائه[٢] . ولم يمهلوهم بل شدوا عليهم، وبدأ القتال . فكان أول مقتول بين يدى عائشة من أهل الكوفه . خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا، ثم تتابع عبيد العسكرين، ثم ثلث السفهاء[٣] لقد أنشب الغوغائيون القتال ونجح السبئيون فى تحقيق مخططهم كما رسموه، ورغم أن عليا طلب من الناس أن يكفوا، إلا أن الأمر قد خرج من يده والتحم الفريقان.

لم يجد الفريقان بدا من القتال، إذ لم يكن ثمة مجال لاستجلاء حقيقة الأمر، فلم يعط السبئيون فرصة لتفهم مغزى الواقع أو استبيان الموقف وتدارك الأمر. هكذا نجحت السبئية فى إشعال نار الحرب الأهلية بين المسلمين مستعرة طاحنة. وكان قتالهم من الضحى إلى قريب من العصر[٤] ، وقيل إلى أن زالت الشمس[٥] فقد اشتدت المعركة أمام الجمل الذى عليه هودج عائشة رض الله عنها حتى أُتل أمامه سبعون رجلاً كل قُتل وهو آخذ بخطامه ثم عقر الجمل وهزم أهل البصرة فانتهت المعركة. وكانت الوقعة يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة[٦] وكان القتال فى ذلك اليوم من أشد القتال هولاً. وقتل فى هذا اليوم عشرة آلاف من أعلام المسلمين[٧] وبعد انتهاء الموقعة صلى عليٌّ على القتلى وأمر بدفنهم[٨] .

---

(١) ابن الأثر : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٢٥ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥١١ .

(٣) المصدر الساق ص٤٩٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص١٣٤ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥١٢ ، ٥٢٣ .

(٦) المسعودى : التنبيه والإشراف . ص٢٧٢ .

(٧) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٣٩ .

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٣١ .

هكذا أفسد السبئية على عليّ خططه، وهكذا أفسدوا اتفاق الطرفين على الصلح، رغم التفاهم الذى تم نتيجة للسفارات المتبادلة بينهما. ولم يتمكن عليّ من إحباط تآمرهم ذلك أنهم كانوا جزءاً من جيشه، فقد كانوا مندسين بين الثوار الذين أحاطوا بدار عثمان وقتلوه، بل كانوا هم الذين أثاروا القبائل فى الأمصار على الخليفة عثمان حتى قتلوه . فأضاعوا هيبة الخلافة وغيروا نظرة الجماهير إلى الإمام. وجعلوا الثورة عليه أمراً ممكناً مباحاً . وماذلك إلا لإمكان تكرار الثورات والعبث بمصائر الأمور فى الدولة . وكان ذلك جزءاً من مخططهم .

استخدم الثوار اسم علي، وبايعوا له وانضموا لجيشه. للتغرير واتخذوا عليا سلما وخُطوه نحو مآربهم ويكفى أن الأيدى التى بايعت عليا بالأمس كانت ملوثه بدم الخليفة المقتول مما خلق كثيراً من المشاكل، ومكنهم من تحقيق أهدافهم . وقد جاءت الفتنة بهذه الصورة نوعاً من الإرهاب اليهودى المعروف .

رؤية حول وقعة الجمل :

ورغم عنف وشراسة هذه الموقعة وضخامة عدد القتلي[(١)] فيها إلا أنها لم تكن موقعة بين عدوين لدودين تأصل العداء بينهما بقدر ماكانت موقعة الطرفان فيها إخوة أوقع الموقعون بينهم، فصارا ضحية تآمر ضالع. وهذا لايعنى أننا ننفى مسئولية كلا الطرفين عما حدث . وقد ساعد على نجاح المخطط السبئى أن عليا لم يكن القوى المسيطر على ولاته وعمالــه وجنده، المالك لزمام الأمور فى دولته وعسكره، الواقف

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٨٦ .

تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٨٣ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٤ ص٣٣١ .

على كـل مايحدث فيهـا ويـدور . ترك عليّ الجميـع لشأنهـم يجتمعـون ويدبـرون ويخططون بحرية تامة، يبيتون الشر ويكيدون له وللمسلمين حتى أنه كان ضمن ماتآمروا عليه فى البداية، أن يقتلوه (١) ويلحقوه بعثمان حتى يطمئنوا على حياتهم ولايطلب أحد بدم عثمان رضى الله عنه .

تآمروا علي عليّ وهم بمرأى ومسمع منه وهو لايعلم بما يدبرون، ولو كان من الضبط لأموره والحيطة في شئونه لما نجحت السبئية فى إشعال نار الحرب كما بينا سابقاً. فعليّ كقائد جيش كان عليه أن يحيط بما يدور بين صفوف جنده من تحركات .

ولقد كان من الخطأ الكبير أن يسمح عليّ بوجود مثل هذه الفرقة السبئية بين جنده ويترك لها الفرصة أن تركن إليه وتندس بين صفوفه، فى الوقت الذى علت فيه الصيحة مطالبة بالقصاص من قَتَلَة عثمان . بينما هؤلاء لم يرضهم الصلح واتفاق الكلمة وحقن الدماء لأن ذلك ضد مصالحهم بل فيه خطر على حياتهم وسلامتهم وقد رأينا كيف اجتمعوا بقيادة ابن سبأ وكان قرارهم ضرورة انشاب القتال (٢) بين عليّ ومعارضيه. فاتفقوا على ذلك والناس لايشعرون وهكذا كانت مصلحة هذه الفرقة تجعلها تبذل كل جهد لتضييق فرص الصلح وإشعال الحرب فكانت السبئية الغوغاء هى التى تسير بالطرفين نحو تحقيق أهدافها ومخططها المرسوم والمتمثل فى استمرار الفتنة وإضرام الحرب بين الفريقين .

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٩٣ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٩٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٩ .

وكان مجرد وجود هذه الفرقة فى جيش علىّ كافياً لأن تحوم الشبهات حول اشتراكه فى أعمال الشغب وقتل عثمان رضى الله عنه فجرّ ذلك الكثير من المشاكل على علىّ ووضعه فى أسوأ وضع. ولعل هذا أيضاً كان جزءاً من مخطط السبئية الماكر، فى هذه المرحلة للنيل من خلافة علىّ ومن الإسلام ودولته.

ويتدارك علىّ هذا الأمر فى ذى قار فنراه قبيل رحيله إلى البصرة يوجه كلمة للناس تحدث فيها عن أحداث المدينة ومن قاموا بها ثم أعلن قراره بإبعاد هؤلاء السبئية ومثيرى الشغب قائلاً: "ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا، ألا ولايرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء فى شيء من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم"(١).

ولو تم تنفيذ هذا القرار لتغير الموقف ولتغير وجه التاريخ، ولكن ماحدث أن السبئية عندما سمعوا هذا القرار من علىّ ، بعد الاتفاق على الصلح ارتاعوا واجتمعوا(٢) فى مؤتمرهم واتخذوا قراراتهم السرية بضرورة إشعال الحرب، فارتحلوا مع الخليفة ونفذوا مخططهم، ولم نجد فى المصادر مايفيد متابعة علىّ أو أجهزته، لكيفية تنفيذ هذا القرار الهام. أو أسلوب تحقيقه والتأكد منه . وقد حمّل أهل الشام عليا مسؤولية قتل عثمان وإيواء قتلته بعد ذلك . وقد مال السبئية منذ البداية إلى تولية علىّ الخلافة(٣) وكان يرفض(٤) فألحوا عليه حتى قبلها.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٩٣ .
ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٩ .

(٣) المصدر السابق . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ج١ ص٢٦٧ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٢٧ - ٤٣٦ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص٩٨ - ١٠٠ .

وهناك سؤال يطرح نفسه لماذا أظهر الثوار بالمدينة وعلى رأسهم ابن سبأ ميلهم ورغبتهم فى تولية على الخلافة؟ لماذا تمسكوا به بعد أن ملأوا الأرض حديثاً عنه وعن حقه المغتصب فى الخلافة، وعن كونه وصىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل اتخذوا منه سلما يرتقونه للوصول لأهدافهم ، ووسيلة يحققون بها مايريدون؟ لعل جملة قالها عثمان رضى الله عنه لعلىّ تلقى بعض الضوء وتجيب على هذا التساؤل. فقد قال عثمان لعلىّ يوماً : "والله ماأدرى أى يوميك أحبُ إلىّ أو أبغض، أيوم حياتك أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لاأعدم شامتاً يعدك كنفا ويتخذك عضدا، ولئن مت لأفجعن بك" (١) .

من هذا الحديث نستشف شكوك عثمان فى موقف السبئية ونواياهم التى يلوح بها إلى علىّ، بعد ماأذاعوه ونشروه، فى الأمصار حول وصاية علىّ وحقه المغتصب فى الخلافة . وكل ذلك لم يكن حباً فى علىّ ولم يكن صادراً عن اقتناع وإخلاص بقدر ماكان وسيلة للنيل من الدولة وإثارة الفتنة والإيقاع بالمسلمين وبث الفرقة بينهم. وتشتيت شملهم . كم كان عثمان مصيباً فى هذا الحديث وكم كانت شكوكه حول هؤلاء السبئية صادقة ، ورؤيته واضحة .

وهناك من المواقف أثناء وعقب موقعة الجمل مايؤكد رأينا وهو أن هذه المعركة لم تكن بين خصمين لدودين بقدر ماكانت انقساماً فى صف واحد، وشرخاً فى جدار واحد، أحدثه أعداء الطرفين على السواء وسعوا إليه سعياً حثيثاً .

أولاً : أن طلحة والزبير وعائشة حين خرجوا إلى البصرة إنما خرجوا للطلب بدم عثمان رضى الله عنه والثأر وقتال السبئية(٢) اتجهوا إلى البصرة للتقوى بما فيها من رجال وخيل وليبدأوا بمن فيها من قتلة عثمان .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٤ ص٣٠٩ .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٥٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣١ .

ثانياً : إن علياً حينما غادر المدينة إنما خرج يبادرهم فى تعبئته التى كان يستعد بها للشام، هدفه أن يدركهم[1] فيحول بينهم وبين الخروج[2] وحتى بعد أن تطور الموقف وذهب إلى البصرة فإنما ذهب للصلح لايريد قتالاً ، وكما قال : الإصلاح وإطفاء الثائرة ليلتئم شمل الأمة .

ثالثاً : التقى القعقاع بن عمرو التميمى أحد قادة جيش علىّ خلال المعركة ، بطلحة يقاتل جريحاً فقال له : ياأبا محمد إنك جريح فلتدخل إحدى الدور بعيداً عن المعركة حرصاً على سلامتك[3]. فهل هذا هو سلوك العدو مع عدوه ؟ قائد يرى خصمه جريحاً يحرص على سلامته أم يجهز عليه ؟ .

رابعاً : أن ابن جرموز بعد انتهاء الموقعة ذهب لزيارة علىّ وقال لمن استقبله: قل له قاتل الزبير ، فقال علىّ : "أئذن له وبشره بالنار" [4] فهل العدو يفرح بانتصاره وقتل عدوه أم يحزن عليه ويبشر قاتله بالنار ؟ .

خامساً : بعد انتهاء المعركة طاف علىّ بالقتلى فلما رأى طلحه بن عبيد الله وهو صريع بين القتلى اغتم وحزن لحد بعيد وقال : "لهفى عليك ياأبا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ماهو استغنى ويبعده الفقر[5]

---

(١) المصدرين السابقين ص٤٥٥ .ص ٢٣١.

(٢) الطبرى المصدر السابق ص٤٩٢ ، ٤٩٥ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٢٤ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥١٠ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ج٤ ص٣٢٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٣١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٥.

ويضيف ابن عبد ربه أن "عليا جعل يمسح الغبار عن وجه طلحة بن عبيد الله ويقول : "عزيز عليّ ياأبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفى بطون الأودية. والله إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم . "ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين" [(١)] .

فهل العدو يفرح بقتل عدوه فى المعركة أم يحزن عليه ويرثيه شعراً ويعز عليه رؤيته صريعاً ؟ .

سادساً : فور انتهاء المعركة وتوقف القتال نادى علىّ فى اتباعه بأوامره قائلاً : "لاتتبعوا موليا ، ولاتجهزوا على جريح، ولاتنتهبوا مالا ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه هو أمن" [(٢)] فهل هذا سلوك عدو منتصر على عدوه أم سلوك الأخ والصديق ؟

سابعاً : بعد انتهاء المعركة طاف على بالقتلى وتوجع وتألم لمصرعهم. وصلى على القتلى من الفريقين ، وجمع الأطراف ودفنها فى قبر عظيم وجمع ماكان فى معسكرهم من شيء ثم بعث به إلى مسجد البصرة ليأخذه أصحابه البصريون، وحرم على أتباعه أن يأخذوا منه شيئاً. [(٣)]

ثامناً : لما سَبّت إحدى النساء عليا رضى الله عنه بعد انتهاء المعركة لم يعاقبها بل لم يرد عليها ، ولما توعدها أحد رجاله غضب علىّ وأصدر تعليماته لرجاله بعدم التعرض لأحد بسوء قائلاً : "لاتهتكن ستراً، ولاتدخلن دارا ، ولاتهيجن امرأة بأذى،

---

(١) العقد الفريد ج٤ ص٣٢١ .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص١٥١ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ج٤ ص٣٢٤ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٣٨ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٥ .

وإن شتمن أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف. [١] وشدد فى ذلك حتى قال : فلا يبلغنى عن أحد عرض لامرأة فأنكل به. فهل هذا سلوك عدو انتصر على اعدائه وظفر بهم ؟

تاسعاً : بعد انتهاء المعركة دخل علىّ على عائشة لزيارتها والاطمئنان عليها. وأمر بأن تجهز إلى المدينة فجهزت خير جهاز وأعطاها مبلغاً كبيراً من المال، وضرب من تكلم عنها ونال منها مائة جلدة دون الثياب [٢] وسير معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات. وأرسل معها أخاها محمد بن أبى بكر ليصحبها حتي المدينة وقيل أرسل معها الحسن والحسين مسيرة يوم . وفى يوم رحيلها جاء علىّ بنفس ليكون فى وداعها وحضر الناس لوداعها فقالت أمام مشيعيها "والله ماكان بينى وبين علىّ فى القديم إلا مايكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندى من الأخيار [٣] " . وقال علىّ أيها الناس صدقت والله وبرت وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة . وكان ذلك فى يوم السبت غرة رجب عام ست وثلاثين للهجرة . وسار فى ركبها أميالاً. [٤]

فهل مثل هذا اللقاء ومثل هذا الوداع، لقاء قائد منتصر ظافر لأعدائه المنهزمين؟ أم وداع إخوة وأحبه ؟

ومن الجدير بالذكر أن عليا عندما زار عائشة فى دار عبد الله بن خلف [٥] الخزاعى كان فى هذه الدار عدد من الجرحى مختبئين لاجئين لدى عائشة. وأُخْبر علىّ

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٠ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣١ .

(٢) الطبرى الأمم والموك ج٤ ص٥٤٠ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٢ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٤ ص٣٢٨ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٢ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٤ . ابن طباطبا : الفخرى ص٨٩ .

(٥) تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٨٣. ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٦ .

بمكانهم فتغافل عنهم وتجاهل ولم يقربهم بسوء. كان يمكنه أن يأمر بقتلهم كأى قائد انتصر على أعدائه وظفر بهم، لكنه لم يفعل . وفى ذلك يقول اليعقوبى : "ثم آمن الأسود والأحمر" (١)

عاشراً : ذكرت المصادر أن كلا الفريقين كان ينادى أثناء المعركة بنفس الشعار الذى ينادى به الآخر . هؤلاء يقولون لاإله إلا الله والله أكبر، وهؤلاء يقولون لاإله إلا الله والله أكبر. (٢) معنى ذلك أنهما على هدف واحد ومبدأ واحد وليس هناك مايدعو للقتال فلم يختلفا على شيء جوهرى . كلا الطرفان يرفض الفتنة وقتل عثمان ويكره الغوغاء والسبئية، لكنهما اختلفا فى أسلوب مواجهة تلك الحركة المعادية ، رأى علىّ سياسة اللين والتسكين والتؤدة حتى يمكنه أخذ الحقوق(٣) فهو يتربص بهم الدوائر حتى يتمكن منهم(٤) فى حين مال فريق طلحة والزبير إلى سرعة الثأر لمقتل عثمان وقتال السبئية. ثم اتفق الطرفان على الصلح باتباع سياسة علىّ(٥) :

إن كل ماسبق إنما يدل على الأُخُوة التامة بين الفريقين، ويوضح مدى التقارب بينهما وإن كان لكل وجهة نظره واجتهاده الخاص لكنها لاترقى إلى درجة الخصومة فهم إخوة أوقع بينهم الموقعون وتمكن منهم المخطط السبئى .

هكذا تآمر السبئيون، وهكذا حققوا ماأرادوا . وهكذا يتضح عمق الدور الذى لعبته السبئية فى إشعال الفتنـة، وبث الفرقة بين أبناء الأمة فمقتل عثمان كان نتيجة

---

(١) تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٨٣ . الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٠ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ابن خياط ص١٩١ . ابن عبد ربه : العقد ج٤ ص٣٢٧ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٤٣٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٣٠ .

(٥) المصدر السابق ص٢٣٩ .

لجهودهم. ثم إن مقتل عثمان "في حد ذاته كان سبباً في خروج طلحة والزبير وعائشة. كما كان مقتل عثمان السبب المباشر في النزاع بين علي ومعاويه واستمرار الفتنة بكل مااشتملت عليه من مآسي. وقد رأينا كيف يوجه السبئيون مسار الأحداث حسب هواهم.

ففي الوقت الذي يتفق الطرفان، عليّ من ناحية وطلحة والزبير وعائشة من ناحية أخرى على الصلح[١] يقرر السبئيون ضرورة نشوب الحرب وحققوا ماأرادوا فكانت وقعة الجمل بآثارها البعيدة المدى في التاريخ الإسلامي .

وحتى بعد انتهاء معركة الجمل يظل السبئيون على مناوأتهم لعليّ .

السبئية في الكوفـــة :

إن انتهاء معركة الجمل على هذا النحو لم يرض السبئية المناوئة، للإسلام ودولته. ويبدو أن أحلامهم في النيل من الإسلام، ومراميهم الهدامة، كانت أبعد من ذلك بكثير، فلم يقنعوا بما حدث - فموقعة الجمل مهما كانت ضراوتها، انتهت مع مغيب شمس اليوم ذاته، لم يستغرق اشتباك المسلمين إلا يوماً إلى أن زالت الشمس[٢] وبات المسلمون بعد ذلك صفاً واحدا. بل إن اليعقوبي ذكر أن المعركة استمرت أربع ساعات فقط .

بعد انتهاء المعركة بايعت البصرة كلها لعليّ بالخلافة[٣] . بل إن طلحة بن عبيد الله وهو يحتضر، حينما حملوه جريحاً تنزف دماؤه بغزارة وأدخلوه إحدى دور البصرة[٤]، يحرص طلحة على أن يجدد البيعة لعلي بالخلافة قبيل وفاته. فهو حينما

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٣ ص١٢٣ .

(٢) الطبري : الأمم والملوك ج٤ ص٥١٢ ، ٥٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢٤ .

رأى أحد رجال علىّ سأله فلما تأكد أنه من رجال علىّ قال له : أبسط يدك أبايعك له، فبايعه[١] .

فى السويعات الأخيرة من حياة الإنسان، والتى يُشغل فيها المرء بأمر نفسه عن الدنيا ومافيها ، فى الجراح النازفة ومايصاحبها من آلام تُنسى الإنسان ماحوله، فى هول المطلع، يحرص طلحة بن عبيد الله على تجديد البيعة لعلىّ . هل أراد طلحة بذلك أن يغلق الباب ويسد الطريق على السبئية ؟

كل ماحدث فى أعقاب المعركة من علىّ سلوكه وتعليماته[٢] كانت كلها تضميداً للجراح وتوحيداً للصف. موقف على من عائشة رضى الله عنهما ، وموقفها منه ومادار بينهما . تسامح على بعد المعركة مع الجميع. لاإله إلا الله والله أكبر، شعاراً يهتف به الفريقان، إلتفا حوله حتى فى أحرج اللحظات رغم تعقعة السيوف. كل ذلك جعل السبئيين يشعرون بأنهم فشلوا فى تحقيق ماتصبو إليه نفوسهم .

إنها هيمنة الإسلام على أتباعه، ورسوخ العقيدة فى نفوس المسلمين، تأصلت فيها وذابت حتى صارت تجرى فى دمائهم. تلك العقيدة التى وحدت الصف، وعليها قامت الدولة. انتهت معركة الجمل ولازالت الدولة قائمة ولازالت الخلافة قائمة والتم الشمل ولم يتحقق هدف السبئية، وعلى ذلك فهم غير راضين، ولم تشتف نفوسهم بعد. لذلك سنراهم يستمرون فى مناوأتهم لعلىّ .

تحدثنا عن مواقف علىّ بعد المعركة وسلوكياته إزاء البصريين بعد انتصاره عليهم. ورأينا كيف كانت مواقفه وقراراته أخويه ودية، فقد منع جنده عن الأموال قائلاً : "لاتنتهبوا مالا" فكانوا يمرون على الذهب والفضة فى معسكرهم والمتاع أمامهم لايعرض له أحد[٣] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٢٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : المجلد ٢ ص١٨٣ . الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٠ .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص١٥١ .

وأمر عليّ المنادى فنادى : "... ولكم مافى عسكرهم، وعلى نسائهم العدة، وماكان لهم من مال فى أهليهم فهو ميراث على فرائض الله[١] . وهنا ثارت ثائرة البعض غاضبين من ذلك غير راضين عن هذا القرار[٢] الذى جاء مداوياً للجراح مسكناً للنفوس ، وفى ذلك يقول الطبرى : "فقال قوم يومئذ : مايحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟ وهؤلاء القوم هم السبئية[٣] والمدفوعين بتوجيه منهم لإثارة المشاكل والشغب، واستمرار اشتعال الفتنة بين صفوف المسلمين. طعن السبئية[٤] فى عليّ حين نهى عن أخذ أموال البصريين . ويرد عليهم عليّ مقنعاً بحجة قوية قائلاً : القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا ، ونحن منه، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر[٥] .

وقام رجل فقال : ياأمير المؤمنين كيف لاتحل لنا نساؤهم ولاأبناؤهم[٦] ؟ فقال عليّ : لايحل ذلك لكم. ولما حاولوا الضغط عليه وتمادوا فى ذلك وأكثروا قال عليّ ببرهان ساطع وأسلوب ساخر، قال : "اقترعوا ، هاتوا بسهامكم .. أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه؟[٧] .

هكذا تناوىء السبئية عليا. فبعد انتهاء المعركة وهدوء العاصفة أرادت السبئية خلق عداء جديد، وإثارة فتنة أخرى بين المسلمين. كلما خمدت النار، أشعلوها من

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص٧٢ . جاءت رواية الطبرى تؤيد ذلك .

(٢) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤١ .

(٣) المصدر السابق ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٥ .

(٥) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤١ .

(٦) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج١ ص٧٢ .

(٧) المصدر السابق .

جديد لتأكل الأخضر واليابس. لم يتركوا الموقف ليمر بسهولة بل جعلوا منه قضية لإثارة القلاقل، ولكن علىّ تصدى للموقف بردود مقنعة وبمنطق واع متزن.

ورأى علىّ تعويض رجاله بعد أن التزموا بقراره . فبعد انتهائه من أمر معركة الجمل وكل مايتعلق بها. وبعد أن فرغ من بيعة أهل البصرة، نظر علىّ فى بيت المال فوجد فيه أكثر من ستمائة ألف فقسمها على من شهد معه الوقعة، فكان نصيب كل رجل منهم خمسمائة درهم .[1]

وبذلك عالج علىّ الموقف وارتضت النفوس مما بعث على الهدوء وبعد بهم عن التشاحن والتطاحن. وبطبيعة الحال تلك نتيجة لاتتفق وهوى السبئية لذلك عادوا ورفضوا توزيع الأموال، معترضين عليه. دون أن يبدوا أسباباً مقنعة، لكنهم تحدثوا فى ذلك رافضين لهذا الرأى، طعنوا فيه وطعنوا فى على"[2] من خلفه دون أن يواجهوه. وتتجمع السبئية الحاقدة ولاتلتزم بأوامر علىّ ويغادرون البصرة بغير إذنه رافعين راية العصيان متعجلين الرحيل قبله[3] .

ورغم أن علياً كان ينوى المقام بالبصرة بعض الوقت لإصلاح الأحوال بها ومعالجة أمورها[4] . رغم أنه كان يريد البقاء فى البصرة ويشعر أن ذلك أمراً ضرورياً، إلا أن رحيل السبئية المفاجيء للبصرة ودون إذن من علىّ ، اضطره إلى مغادرتها واللحاق بهم"[5] فقد خشى علىّ أن يقدموا على أن عمل من شأنه الإضرار

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤١ . ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٢ .

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٣ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٣ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٥٤٤ . ابن الأثير : الكامل ج٣ ص١٣٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٣ ص١٣٣ .

بالدولة، فأراد أن يكون قريباً منهم مراقباً لتحركاتهم لذلك آثر سرعة مغادرة البصرة والرحيل فى إثرهم. وفى ذلك يقول الطبرى : "ارتحل فى آثارهم ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه"[1] .

انتقل ابن سبأ وأعوانه إلى الكوفة[2] مركز نفوذ على ومقر الخلافة الجديد وقلب الأحداث حتى يكونوا قريبين منها وحتى يتمكنوا من تنفيذ خططهم ضد الإسلام ودولته وحتى ينجحوا فى تنفيذ المرحلة الثانية من مخططهم وليس من المستبعد أن يكون ابن سبأ قد اتصل بيهود العراق فى تلك المرحلة وتعاونوا معه .

سعى ابن سبأ إلى على وتقرب منه وتظاهر بحبه، وكان قد تشيع له ونادى بحقه فى الخلافة خلال المرحلة السابقة فى خلافة عثمان. وأخذ يردد فى الكوفة ماكان يروجه من قبل حول فكرة الوصاية، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبى وصيا، وأن عليا وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء .[3]

ففكرة وصاية علىّ ليست وليدة تلك الآونة فى الكوفة بعد انتهاء معركة الجمل. فقد كانت هذه الفكرة هى الورقة التى لعبت بها السبئية[4] فى المرحلة الأولى من تآمرها فى خلافة عثمان رضى الله عنه . بل كانت هى الأداة التى آثارت بها مشاعر بعض المسلمين فى الأمصار، وكونت بها رأياً عاماً ثائراً ضد الخليفة، الذى لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووثب على وصى رسول الله واغتصب منه الخلافة بغير حقها.[5]

---

(١) الأمم والملوك جـ٤ ص٥٤٤ .

(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص٥٩ . البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٣ .

(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٥ .

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٣٤٠ .

(٥) المصدر السابق ص٣٤١ .

ولو رجعنا للوراء شهوراً بعد إتمام البيعة لعلى بالمدينة. لرأينا بعض الموجودين يتبارون كل لإلقاء كلمته، ومنهم مالك بن الحارث الاشتر الذى قام فقال : "أيها الناس، هذا وصى الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء.."[١] هكذا يشيد المتحدثون بعلى باعتباره وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففكرة الوصاية التى تناولها ابن سبأ وأعوانه من قبل أخذ يروج لها الآن ويذيعها بين الناس.

اتقن ابن سبأ الدور الذى لعبه متظاهرا بحب علىّ حتى صدق ذلك كثير من المسلمين. ونقلوه إلى علىّ قائلين له : إن ابن سبأ من محبيك. فرفع علىّ قدره وقربه منه وسمح له بالجلوس تحت درجة منبره.[٢] وبذلك أخذ ابن سبأ مكانة بين المسلمين فى الكوفة مما أتاح له فرصة كبيرة لتحقيق أهداف تلك المرحلة وهى ضرب العقيدة الإسلامية ذاتها، وذلك بإدخال تأويلات عليها لإفسادها . بعد أن ثبت أنها الرابطة المتينة التى تربط أبناء هذه الأمة، والعماد القوى الذى تقوم عليه تلك الدولة ولن تُهدم هذه الدولة ولن تتفرق هذ الأمة إلا بضرب تلك العقيدة وهدمها.

وأهم تلك التأويلات يتمثل فى فكرة الوصاية ثم الرجعة بعد ذلك وأخيراً فكرة الحلول ، أى حلول روح الإله فى البشر ومايتبع ذلك ومايرتبط به من فكرة التناسخ. وذلك لتخريب المجتمع الإسلامى من داخله، بضرب أسسه الروحية ونخر كيانه الإسلامى العربى وبث قيم مناهضة لقيمه الأصيلة" .

أخذ ابن سبأ يغلو فى علىّ رضى الله عنه فزعم أنه نبى[٣] وأخذ ينشر هذه الفكرة بين المسلمين[٤] ثم ازداد غلوا وزعم أن روح الأله حلت فى علىّ وأن عليا أله

---

(١) تاريخ اليعقوبى المجلد الأول ص١٧٨ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٥ .

(٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ٥٩. البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣.

(٤) من الجدير بالذكر أنه حتى الآن هناك بعض فرق من الشيعة الإيرانية التى تعتقد أن علىّ هو صاحب الرسالة وليس محمد وأن الوحى أخطأ بينهما ونزل على محمد.

وأخذ يدعو إلى ذلك بعض أهل الكوفة [١] وفى ذلك يقول الأشعرى "يزعم أن عليا إله [٢] ويدعو إلى ذلك قوما من غواة الكوفة فيتبعونه على ضلالته[٣]. انتشر أعضاء التنظيم من السبئية بين المسلمين ينفذون مخططهم ويبثون دعاواهم ، فاستجاب لهم كثير من المسلمين مخدوعين لايدرون شيئا عن نوايا السبئية الهدامة وحقدهم على الإسلام ودولته . فانتشرت الدعوة واتسعت دائرة الحركة السبئية وتشعبت بين أبناء الأمة .

وكان من الطبيعى أن يكون هناك من ينقاد إلى تلك الحركة ويتأثر فكريا بتلك الآراء، خاصة بين الأجيال الجديدة من المسلمين وفى الطبقات المحدودة الثقافة والتعليم.

وصلت أنباء تلك الحركة إلى مسامع علىّ ووقف على أبعادها فاستاء منها واستنكرها. وإمعانا فى التمويه يذهب بن سبأ فى جماعة من أعوانه إلى الخليفة علىّ وحين يلقاه يحاول استمالته قائلا له : "أنت أنت " أى أنت الاله حقا [٤] ، ولم تنطلى الحيلة على علىّ الذى عرف غُلوّ بن سبأ وتطرفه وأدرك حقيقة نوايا السبئية المعادية للإسلام ، بعد يقينه من خروجهم على العقيدة ومحاولتهم هدمها بنشر تلك المبادىء الهدامه وعلى رأسها تأليه علىّ.

لقد طال صبر علىّ وفشلت كل محاولاته لمعالجة الأمور باللين فيما سبق والآن وقد تطاول ابن سبأ وأعوانه على العقيدة ذاتها، فلابد من الحسم والحزم مادامت الأمور قد وصلت إلى ذلك الحد . إن عليا بما عرف عنه من قوة وصرامة ووضوح فى مواجهة المواقف ، كان لابد أن يأخذ موقفاً صلباً إزاء محاولات التلاعب بالعقيدة الإسلامية، فعلىّ لن يسمح بذلك مهما كانت الظروف .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣. الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ١٧٤.

(٢) جولدتسيهر: العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٢٢٩.

(٣) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٥٩.

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٨٦.

لذلك يأمر علىّ بإحراقهم فحفرت حفرتان لهذا الغرض وتم فعلاً إحراق جماعة منهم(١) وهمّ علىّ بقتل ابن سبأ نفسه(٢) لولا أن نهاه عبد الله بن العباس وقال له: "إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك"(٣) لذلك تراجع علىّ عن قتل ابن سبأ. ورأى إخراجه من الكوفة فنفاه إلى المدائن. (٤)

لقد تبرأ على(٥) من ابن سبأ وأعوانه بعد ماسمع منهم هذه المقالة وعذبهم وعاقبهم عليها ، فكان موقفه من السبئية واضحاً صريحاً كما أبغضهم بنوه من بعده. وبمرور الزمن غابت تلك الحقيقة عن المسلمين .

أخذ ابن سبأ يتحرك وأعوانه فى القسم الشرقى من الدولة يبثون ماشاء وا من دعاواهم مستترين بحبهم لعلى. وتشيعهم له فافتتن به الكثيرون. وكان قد نشر فكرة الوصاية وملأ بها الآفاق الإسلامية فى خلافة عثمان، وجعلها الأداة التى ألب الناس بها عليه وكون بها رأيا عاماً ضده حتى ثاروا عليه، أخذ ابن سبأ ودعاته يتناولون فكرة الوصاية لعلى فى تلك المرحلة وأنه وصّى رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم

---

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص٥٩ . (قيل أنهم ١١ رجلا).

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص٥٩ . البغدادى : الفرق بين ص٢١ ، ص٢٣٥ .

(٥) ابن قتيبه المعارف ص ٦٢٢.

ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٣ ص٤٠٤.

ونراه يتقرب بها أولاً إلي على "نفسه ثم ليكسب ثقة المسلمين المحبين للنبى وآل بيته فيتقبلوا منه كل مايقوله لهم بعد ذلك، فكان بذلك يضع لهم السم فى الدسم. ثم إنه فى المرحلة الأولى لم يكن قد توغل فى المشرق الإسلامى. والآن حين نفاه علىّ إلى المدائن جعل منها فرصة استغلها أحسن استغلال فانطلق ينفذ المخطط السيئ اليهودى فى المشرق فى الأراضى الفارسية فنشر فكرة الوصاية، فانتشر التشيع بين الفرس. كما نشر فيهم فكرة الرجعة أى رجعة محمد التى كان قد تحدث بها فى مصر[١] وتناقلوها عنه .

فكان يقول : "عجبت ممن يقول برجعة عيسى ولايقول برجعة محمد والله يقول. "إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"[٢] فمحمد أحق بالعودة والرجوع من عيسى. وهكذا أخذ فى التشكيك فى العقيدة" ولو تذكرنا أن الناس آنذاك على فطرتهم حديثو عهد بالإسلام خاصة من لايعرفون الفلسفات، والبدو الذين يعيشون معهم علي جانب من الجلافة والصلابة إذا اقتنعوا بشيء، ضعف استخلاصه من نفوسهم. لو تذكرنا ذلك لعرفنا مدى خطورة حركة ابن سبأ فى نشر آرائه بين المسلمين. وأثر ذلك على العقيدة الإسلامية ذاتها، التي تقوم عليها الدولة، والتى تربط أبناء الأمة .

فى هذه المرحلة الثانية سيخرج ابن سبأ ودعاته على المسلمين بأفكار جديدة ولن يقتصر على ماكان قد بثه سابقاً. فقد تناول فكرة الحلول[٣] أى حلـــول روح

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٣٤٠ .

(٢) سورة القصص آية ٨٥ .

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص١٩٨. جولدتسيهر: العقيدة والشريعة فى الإسلام ص٢٠٥- ٢٠٧.

الإلــه فـى البشر، وبثها بين المسلمين فى المشرق الإسلامى لقد ألّه علياً وزعم أنه إله" [١] ، بل إنه واجه علياً بذلك وذكرها أمامه، إمعاناً فى التضليل وليسهل تصديق المسلمين لها. وقد نفاه علىّ لذلك وأبعده عنه كما ذكرنا بلغت شراسة التآمر على العقيدة أن أظهروا بدعتهم فى زمان علىّ كما يقول البغدادى. ولولا خوف علىّ من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه لحرق ابن سبأ نفسه وبقية أعوانه. لخروجهــم على الإسلام.

وحينما قُتل علىّ رضى الله عنه، زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، إنما كان شيطاناً تصوّر للناس فى صورة علىّ ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام، وقال : "كما كذبت اليهود والنصارى فى دعاواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل علىّ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علىّ رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علىّ وأن علياً قد صعد إلى السماء. [٢]

زعم ابن سبأ أن عليا حىّ لم يمت لأن فيه الجزء الإلهى [٣] ولايجوز أن يموت . وزعم أن عليا فى السحاب وأن الرعد صوته وأن البرق سوطه، [٤] والسبئية من سمع منهم صوت الرعد قال : عليك السلام ياأمير المؤمنين. [٥]

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٣ ، الشهر ستانى : الملل والنحل ج١ ص١١٤ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق . ص٢٣٣ .

(٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص١١ . الشهر ستانى : الملل والنحل ج١ ص١٧٤ .

(٤) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٤ . أورد الشهر ستانى تلك الرواية غير أنه ذكر أن "البرق تبسمه" ج١ ص١٧٤ .

(٥) المصدر السابق .

وقد روى عن عامر بن شراحيل(١) الشعبى أن ابن سبأ قيل له : إن علياً قد قُتل، فقال : إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم نصدق موته، لايموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض(٢) بحذافيرها .

وفى ذلك يقول الشاعر :(٣)

برئت من الخوارج، لست منهم	من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا	يردون السلام على السحاب

وقالت السبئية أيضاً بتناسخ الجزء الإلهى فى الأئمة(٤) بعد على رضى الله عنه، فالتناسخ مرتبط بالحلول. أظهر ابن سبأ هذا القول ونشره بين الناس فكان بذلك أصل الغلو فى الإسلام والأصل الذى انشعبت منه أصناف الغلاه(٥) والغلاة هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتي أخرجوهم عن حدود الخليقة والبشر. وحكموا فيهم بأحكام الألهية فصارت لهم فرق مختلفة عديدة انشعبت كلها وانبثقت عن أقوال عبد الله بن سبأ. وكل فرق الغلاة متفقون على التناسخ والحلول . وقد يكون الحلول بجزء، وقد يكون الحلول بكل ، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس فى كوة، أو إشراقها على البللور، أما الحلول بكل، فهو كظهور ملك بشخص، أو شيطان بحيوان. وللتناسخ مراتب منها : النسخ ، والمسخ ، والفسخ ، والرسخ .(٦)

---

(١) النوبختى : فرق الشيعة ص ٤٣ ومابعدها.
أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص٤٢.

(٢) هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل الهمدانى ، الكوفى ولد فى خلافة عمر، وكان علامة التابعين، وهو أكبر شيوخ أبي حنيفة توفى عام ١٠٤ هـ .

(٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص٨٨ . البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٤ .

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص٥٩ .

(٥) الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص١٧٤ .

(٦) المصدر السابق ص١٧٣ - ١٨٩ .

لم يكتفى ابن سبأ بتأليه علىّ ومبدأ الحلول والتناسخ بل نراه فى هذه الفترة عقب مقتل علىّ رضى الله عنه يتناول فكرة الرجعة أى رجعة الإنسان بعد الموت إلى الدنيا. وضع لهم رجعة علىّ هذه المرة. لقد أكد ابن سبأ أن عليا حى لم يمت وأنه سينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.[١] وسيرجع إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.[٢] أكد ابن سبأ عودة علىّ إلى الأرض ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[٣] وارتبطت بذلك فكرة المهدى المنتظر الذى تصوره السبيئة فى علىّ دون غيره[٤] .

انتشرت تلك الأفكار انتشاراً سريعاً في مشرق العالم الإسلامى خاصة بين الفرس وانتشر التشيع. وبذلك نجحت الحركة السبئية فى تحقيق أهدافها فى تلك المرحلة والمتمثلة فى ضرب العقيدة الإسلامية باعتبارها الرابطة التى تربط أبناء الأمة فإذا ضَعُفت تلك الرابطة سقطت تلك الأمة فى مهاوى الضعف .

انطلق عبد الله بن وهب بن سبأ زعيم الحركة اليهودية الظاهر آنذاك من منطلقات ثلاث فقد أحدث فى هذه الأمة ثلاثة أمور كان لكل منها الأثر البالغ فى تفريق كلمتها ، وتصديع وحدتها وتشعب أمرها وهى :

الأمر الأول : كان ابن سبأ أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب بالإمامة، فعلىّ وصىّ الرسول وخليفته على الأمة من بعده بالنص يوم الغدير.[٥]

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص١٧٤ .

(٤) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص٥٩ .

(٥) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة فى الاسلام ص١٩٦ ومابعدها، ص٢٠٣.
بطروشفسكى: الإسلام فى إيران ص١٨٩-١٩٠ (نقلا عن الطبرى).

الأمر الثانى : كان ابن سبأ أول من أحدث القول برجعة النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته . ثم طور الفكرة بعد ذلك فأحدث القول برجعة[١] علىّ رضى الله عنه إلى الدنيا بعد موته . وماارتبط بذلك من فكرة المهدى المنتظر .

الأمر الثالث : كان ابن سبأ أول من أحدث القول بأن علياً لم يقتل ، وأنه لايزال حياً، وأنه يسكن السحاب، لأن فيه جزء إلهى[٢] أى أن روح الإله تحل فى البشر. وماترتب على ذلك من القول بتناسخ الجزء الإلهى فى الأئمة. أى أن الجزء الإلهى يحل فى الأئمة[٣] ، لذلك استحقوا الإمامة دون غيرهم .

والواقع أن أكثر هذه القضايا مأخوذ عن اليهودية[٤]دين ابن سبأ، والتى كان يعرفها قومه يومئذ، بل إنه كان يستدل لمن يخدعهم على صحة هذه القضايا ببعض ماعرف من أحوال موسى عليه السلام مع شىء من التمويه والتحريف[٥] .

تلك هى جهود السبئية فى خلافة علىّ ، وهى جهود جبارة هدامة ضالعة فى المكر والخداع والتآمر. تَشَيع السبئية لعلىّ وطالبوا بحقه فى الخلافة. وبايعوا له بها وأصروا وانضموا لرجاله وانضووا تحت لوائه، وكان ذلك جزءاً من المخطط. ثم مهدوا لإشعال نار الفتنة واستغلوا كل موقف لصالحهم. حتى كانت معركة الجمل .

---

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص٢١٥ . ومابعدها .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام ص١٩٦ . ومابعدها ، ص٢٠٣ .

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص١٧٤ .

(٤) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص٢٢٩ .

(٥) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج١ ص١١ .

ثم تقربوا من عليّ ونشروا تلك الأفكار المنافية للعقيدة ولاشك أنهم استعانوا بيهود العراق وفارس فانتشر التشيع سريعاً .

ومن هذه الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق، فمن تعاليمه تشعبت أقاويل أنواع الغلاة من الرافضة بكل ماحملت من أفكار وآراء بعدت بهم عن إطار العقيدة الإسلامية. وزجت بالمسلمين فى تيار الفرق المتناحرة.

ومن الجدير بالذكر أن ابن سبأ أول من أظهر القول بالنص بإمامة عليّ رضى الله عنه، ومنه انشعبت أصناف الغلاة (١) ومن المؤكد أن السبئية بأقوالهم تلك، قد خرجوا على العقيدة. وفى ذلك يقول البغدادى: "وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم عليا إلها" (٢) .

وقد أجمع المحققون من أهل السنة على أن ابن سبأ الملقب بابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى عليّ ثم فى أولاده (٣) من بعده . فابن سبأ قد أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً .

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ج١ ص١٧٤ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص٢١ .

(٣) المصدر السابق : ص٢٣٥ .

دور السبئية فى وقعة صفين

و نتساءل هل انتهى دور السبئية بمعركة الجمل؟ هل كان للسبئية دور فى معركة صفين وما نتج عنها من نتائج بعيدة المدى في التاريخ الإسلامى ؟ وهل هناك علاقة ما أيا كانت بين السبئية وبين الخوارج؟ وماهو دور كل من القيسية واليمانية فى خضم هذا الصراع ؟ وماهو دور بنى تميم؟

كل تلك الأسئلة بحاجة إلى دراسة جادة متأنية توضح إجاباتها وتصل إلى أغوار تلك المرحلة بما فيها من حقائق .

رأينا كيف لم تصفُ الخلافة لعلىّ ، ولم تسر الأمور سيرها الطبيعى ولم تستقر. لقد انتقض الناس على علىّ ولم تهدأ الأحوال فى المدينة أو الشام أو حتى فى الكوفة . إختلف الناس فى أمر علّى إختلافا بعيد المدى بينما يغلو بعضهم فى شأنه غلوا يصل إلى حد تقديسه وتأليهه، يغلو بعضهم فى الوقيعة به والهجوم عليه غلوا بعيدا أيضا، وبين هذا الغلو، وذاك الغلو درجات كثيرة .

حتى جيش علّى وشيعتة الحقيقية التى كانت تفديه بالنفس والمال، حتى هؤلاء إمتدت إليهم يد السبئية المخربة تفريقا وتشتيتا. فخرجت منها جموع على طاعة علىّ.

إستمر السبئية فى إشعال نار الفتنة، جمعوا لها أوشاب [(١)] الناس وإنطلقت

---

(١) الأوشاب من الناس هى الأوباش أى الأخلاط. وهم الضروب المتفرقون وفى الحديث أن قريشا وبشت لحرب النبى صلعم أوباشا لها أى جمعت له جموعا من قبائل شتى.
ابن منظور : لسان العرب المجلد السادس ص ٣٦٧. مادة " وبش " .

حملة دعائية تتناول صيغاً وإصطلاحات جديدة وغريبة مثل : إقامة كتاب الله، وإقامة الحدود، ولاحكم إلا الله وغير ذلك.

ونتساءل لماذا لم تصف الخلافة لعلى رغم سابقته وجهاده فى الإسلام ومكانته من رسول الله صلي الله عليه وسلم؟

هناك تفسير ساد بين بعض المؤرخين المحدثين مؤداه أن الثورة على عثمان ماهى إلا ثورة القبائل العربية فى شبه الجزيرة على قريش لاستئثارها بالخلافة، وأن تلك الثورة جاءت إنتصارا للتيار القبلى على التار الإسلامى، أو هى انتصار للعصبية العربية على العصبية الإسلامية. وإن عثمان ذهب ضحية تلك الظروف، فلما بويع على جاء يمثل التيار الإسلامى فى إتجاهاته وميوله، فى ظروف استعلاء التيار القبلى وإنتصاره.

فالقبائل دخلت الإسلام كما دخلت قريش وهاجرت لإعلاء رايته ولكن قريشا استأثرت بالخلافة وقادت وتزعمت. ومما زاد من هذا التذمر، أن عامة القوات الفاتحة كانت من القبائل فأكد هذا شعورها بأنها مغبونة. فلما انقسمت قريش على نفسها، وجدت القبائل فرصتها سانحة للتدخل، كما ظهرت نزعة آقليمية لعلها تطور للنزعة القبلية فى الأمصار بمعنى عدم إرتياح الأقاليم لسلطة المدينة وسيادتها، إذ أن الموارد كانت تُرسل من الأمصار إلى بيت المال بالمدينة أى أن الفتنة بكل مراحلها إنما جاءت نتيجة للصراع أو التصادم بين التيار الإسلامى من ناحية والتيار القبلى من ناحية أخرى: أى أن خلافة على كلها كانت صراعا بين التيارين الإسلامى، والقبلى.

قد يبدو هذا تفسيرا مقنعا . لكننا نتساءل لماذا إستيقظ التيار القبلى فى هذه الآونة بالذات؟ ولماذا إشتد فى خلافة علّى على هذا النحو وليس في خلافة عمر مثلا؟ لماذا لم يتقدم أو يتأخر عنف هذا التيار عن خلافة علّى ؟ وهل ظهر هذا التيار وإشتد هكذا تلقائيا ؟ ماالذى أيقظه ونمّاه ؟

هذا هو دور السبئية الخبيث الذى لعبته فى تلك المرحلة . إننا نلمح أصابع السبئية تحرك وتتحرك فى خضم أحداث صفين . لقد نجحت السبئية في تأليب القبائل العربية فى الأمصار على قريش بالمدينة. نجحت فى تأليب القوى الإسلامية بعضها ضد البعض أثاروا النزعة القبلية والنعرة الأقليمية رغم أن الإسلام يرفض العصبيات بكل ألوانها. ورغم أن الرسول صلي الله عليه وسلم إستطاع أن يرتفع بالعصبية القبلية ويحولها إلى عصبية للإسلام .

وقد رأينا كيف كان ابن سبأ يجوب[١] أنحاء العالم الإسلامى هو ورجاله، وكيف كان له بها أنصار وأعوان، وكيف كانت هناك مراسلات [٢] متبادلة بين السبئة وبين الأمصار الإسلامية المختلفة.

لاشك ان ابن سبأ وأعوانه عملوا على إيقاظ تلك المشاعر وبعث هذه النعرة حتي تبلورت تلك العصبية فإن كانت هناك ثورة للقبائل على قريش فالسبئة هم الذين أيقظوا تلك المشاعر وأثاروها وغذوها حتى اشتد ساعدها فكانت الثورة.

---

(١) الطبرى: الأمم والملوك جـ٤ ص ٣٤٠.
ابن الأثير: الكامل جـ ٣ ص ٧٢-٧٣.

(٢) الطبرى : الأمم والملوك جـ٤ ص ٢٣١.
ابن الأثير : الكامل جـ ٣ ص ٧٧.

والخلاصة ان السبئة كانوا من خلف أحداث صفين. ساعدهم على ذلك انضمامهم لجيش علىّ فكانوا بذلك قريبين من الأحداث يؤثرون فيها ويحددون مسارها.

فلم يكن من المستحيل استمرار بقاء الخلافة فى قريش آنذاك لولا جهود السبئية بدليل استمرار الخلافة فى قريش طوال العصرين الأموي والعباسى مما يؤكد وجهة نظرنا.

ومن ناحة أخرى فإن أهل الشام بزعامة معاوية أبوا أن يبايعوا لعلى بالخلافة حتى يقتل قَتَلة عثمان - السبئية - أو أن يُسلمهم إليهم. وان لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه[١] . ولم يكن علىّ يستطيع إقامة الحدود على الجناه والتحقيق معهم فى ظل تلك الظروف، كان لابد من الانتظار مدة ريثما يستتب الوضع، ويتمكن الحكم ويستقر، وتستعيد الخلافة هيبتها. خاصة أنهم قد انضموا لجيشه، فكانوا بذلك سببا مباشرا للصراع بين علىّ وبين معاوية والشاميين، وتطور الموقف فكانت معركة صفين التى قُتل فيها سبعون ألف قتيل[٢] من المسلمين، والتى كانت لها نتائج بالغة الخطورة فى التاريخ الإسلامى.

ذكر الدينورى أن أبا الدرداء، وأبا أمامه الباهلى دخلا على معاوية، وعاتبه على خلافه لعلىّ وهو أحق منه بالأمر. فرد معاوية أنه يقاتل علىّ لأنه آوى قتلة عثمان. وقال: سلوه أن يُسلم إلينا قتلة عثمان وأنا أول من يبايعه. فذهبا إلى علىّ وعرضا عليه الأمر. فأعتزل من عسكر علىّ زهاء عشرين ألف رجل فصاحوا: "نحن جميعا قتلنا عثمان"[٣]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٧ ص٢٥٦.
(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٥.
(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص ١٧٠.

إن أول من انتدب عليًا للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتلوه فلما آواهم في جيشه ولم يقتص منهم، أخذ أهل الشام من ذلك أن عليا ممالىء لهم على فعلتهم فصارت شبهة وأثر ذلك على موقف عليّ ، وكما ذكرنا سابقا لعل انضمام السبئية لجيش عليّ كان جزءا من مخططهم الماكر لإثارة القوى الإسلامة بعضها ضد البعض.

كما أنهم حين انتدبوه للخلافة وأعطوه أيديهم بالطاعة كانوا يرون أنفسهم أصحاب منّه عليه. وأولياء نعمة وأصحاب فضل أسدوه إليه، فكانوا يرون أنفسهم شركاءه في أمره وسلطانه. فكانوا ينازعونه في الآراء بجرأة.

ويمكن القول أن السبئية حددوا مسار الأحداث في وقعة صفين وحركوا الأمور على النحو الذي يريدوه والذي يحقق أهدافهم المرسومة .

والواقع أن عليا قد أدرك المخطط السيىء المرسوم وفهمه في صفين حق فهمه إلا أنه لم يتمكن من إحباط ذلك المخطط، ولم يستطع عرقلته أو إيقاف تنفيذه. فقد أضطر لخوض غمار معركة صفين بشراستها كما وصفتها النصوص وماجاء عن ليلة الهرير وكيف مرت مواقيت أربع صلوات لم يُسجد لله فيهن إلا تكبيرا (١) .

وحينما صار النصر وشيكا وصار الأشتر النخعي على وشك دخول معسكر معاوية ولاح خطر الهزيمة لجند الشام(٢) وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، استقبلوا عليًا وجيشه بخمسمائة مصحف (٣) مرفوعة وهم ينادون ياأهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم(٤) طالبين بذلك التحكيم.

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٧٩.
(٢) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص١٨٨.
(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٧٨.
(٤) المصدر السابق ص٤٨١.

رفض على التحكيم قائلا: "اللهم إنك تعلم أنهم مالكتاب يريدون..."(١) واختلف أصحاب عليّ . طائفة رأت استمرار القتال على رأسها الأشتر النخعى، وطائفة رأت المحاكمة ووقف القتال وعلى رأسها الأشعث بن قيس الكندى فوقعت الكارثة.

وموقف الأشعث بن قيس يستحق الدراسة لإيضاح الشكوك التى تحوم حوله. هل للأشعث أى صلة بالسبئية؟ ماهو دور اليمانيه والقيسية فى ذلك؟ هل يمكن أن يقال أن الأشعث بن قيس آثار حمية اليمانية عشيرته ضد أبناء القبائل العربية الشمالية فى جيش عليّ؟ فقد قام الأشعث بن قيس الكندى فى أصحابه من كندة خطيبا وطلب وقف القتال محذراً لهم من استمراره قائلا: ".... إنا ان نحن تواقفنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة الحُرمات...." وقد أورد نصر بن مزاحم نص هذا الخطاب(٢) فكان بذلك اول من طالب بوقف القتال.

ووصلت تلك الأنباء الى معاوية فاستحسنها ورفع الشاميون المصاحف بعدها مباشرة، ورفض عليّ فكرة التحكيم. وهنا قام الأشعث غاضبا فقال لعليّ:" ... أجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم. وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال."(٣)

ثم إن الأشعث طلب من عليّ أن يرسله إلى معاوية للتفاوض فى الأمر. وفعلا ذهب واتفق مع معاوية على أن يكون لكل طرف رجل يمثله يجتمعان ويعملان بما فى كتاب الله. وتشبث بعرض معاوية ودافع عنه(٤) واقنع أهل العراق بذلك دون استشارة علـيّ.

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٧٨.

(٢) وقعة صفين ص٤٨١. الدينورى الأخبار الطوال ص ١٨٨ ومابعدها.

(٣) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٤٨٢ ومابعدها. الدينورى: السابق ص ١٩٠.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٩٩.

واختار الأشعث ومعه من صاروا خوارج[١] بعد ذلك أبا موسى الاشعرى ليمثل عليّ وتمسكوا به ورفض عليّ هذا الاختيار ورشح عبد الله بن العباس لهذه المهمة فثار الاشعث قائلا: "لا والله لايحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلا من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مُضر[٢]

ثم إنه عند كتابة عهد التحكيم كتبوا : "هذا ماتقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين...." فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته. وقال عمرو : أكتب اسمه وإسم أبيه ، إنما هو أميركم، وأما أميرنا فلا. [٣]

وقال له الأحنف: لا تمح اسم "إمرة المؤمنين عنك فإني أتخوف إن محوتها لاترجع إليك أبدا. فأبى عليّ ذلك مليا من النها[٤] وهنا ينطلق الأشعث مطالبا عليّ بمحو اسم إمرة المؤمنين من الصحيفة ويصر على ذلك فكان ماأراد [٥] وكُتب الكتاب على هذا النحو : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ماتقاضى عليه عليّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان...."[٦]

ثم خرج الأشعث بن قيس يقرأ الكتاب، على الناس ويقنعهم به وسمع نداء المحكمة فى مواقع عدّة . فلما رجع إلى عليّ بالصحيفة أخبره أن الناس جميعـــــا

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٩٩.

(٢) المصدر السابق ص٥٠٠.

(٣) نصر بن مزاحم: ومعه صفين ص٥٠٨. الطبرى : الأمم والملوك جـ٥ ص٤٨-٤٩.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٥٠٨. الطبرى : الأمم والملوك جـ٥ ص٥٢.

(٥) المصدرين السابقين . تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٨٩.

(٦) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص٥١٠. الطبرى . الأمم والملوك جـ٥ ص٥٣.

راضون عنها ولم يرفضها إلا القلة واخفى الحقيقة عن عليّ قائلا له: قد عرضت الحكومة على صفوف اهل الشام واهل العراق، فقالوا جميعا قد رضينا ، حتي مررت برايات بنى راسب ونَبْذ من الناس سواهم فقالوا: لانرضى. فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم. فقال عليّ : هل هى غير راية أو رايتين ونبذ [١] من الناس؟ فقال بلى. قال عليّ دعهم. وظن عليّ أنهم قليلون لايُعبأ بهم [٢] .

وهنا نتسائل لماذا يخفى الأشعث الحقيقة عن على؟ ولماذا يحمله على حرب من رفض الصحيفة؟ ثم ماهي دوافعه فى كل المواقف التى ذكرناها؟

لعبت السبئية دورا فى معركة صفين وماتلاها من أحداث فقد فرضوا على عليّ قبول التحكيم رغم ارادته ووقف عليّ [٣] يقنع جيشه بأن رفع المصاحف خدعة، وأن هؤلاء القوم ليسو بأصحاب دين ولا قرآن فهو أعرف بهم فقد صحبهم أطفالا ورجالا .

وهنا يثوررون. جاءه زهاء عشرين ألف مُقنعين فى الحديد شاكى السلاح، سيوفهم على عواتقهم يتقدمهم مسْعَّر بن فدكى، وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد فنادوه باسمه لا بأمرة المؤمنين ياعليّ أجب القوم إلى كتاب الله وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفْعلَنها إن لم تجبهم [٤]

---

(١) النبذ بالفتح: الشىء القليل . وجمعه أنباذ.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٥١٣. أكد الطبرى نفس الروايه .

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٤٨٩.

(٤) المصدر السابق ص٤٩٠-٤٩١. تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص١٨٩.

وعبثا يحاول على إقناعهم برفض التحكيم لأنه مكيدة وقد ظهرت دلائل النصر. ويغضب هؤلاء ويأمرونه أن يبعث إلى الاشتر ليوقف القتال، ولا يستجيب الأشتر مبعوث علىّ إذ كان النصر وشيكا. فيثور هؤلاء مُتّهمين عليا بأنه أمر الأشتر باستمرار القتال لا إيقافه .مهددين إياه بأنه إن لم يرجع الاشتر فورا سيقتلوه كما قتلوا عثمان أو يسلموه إلى عدوه(١) .

هكذا أجبروا علىّ على وقف القتال وقبول التحكيم(٢) فقال لهم علىّ: فأحفظوا عنى نهى إياكم، واحفظوا مقالتكم لى. فلم يكن بوسعه أن يفعل شيئا.

ثم إنهم أصروا على اختيار أبى موسى الأشعرى ممثلا لعلى فى التحكيم دون غيره، رغم موقفه من علىّ. وكان علىّ يفضل الاشتر أو عبد الله بن العباس ويرفض تماما أبا موسى(٣) لكنهم يصرون على اختيار أبى موسى ولا يرضون بغيره بديلا ويجبرون علىّ على ذلك. فقد قال الأشعث ، وزيد بن حصين، ومسعْر بن فدكى فى عصابه من القراء : إنا لانرضى إلا به. قال علىّ: قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا نعم قال: فأصنعوا ماأردتم. (٤)

---

(١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين جـ ٤٩١. اكد الطبرى رواية نصر بن مزاحم.

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٢ ص١٨٩ ومابعدها .
الطبرى: الأمم والملوك جـ٥ ص٥٥ ومابعدها.

(٣) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٤٩٩-٥٠٠ الطبرى : الأمم والملوك جـ٥ ص٥١-٥٣.

(٤) الدينورى: الأخبار الطوال ص ١٩٣.

وكان ماأرادوا هم . وتم الإتفاق وكُتبت صحيفة العهد والتحكيم . وخرج بها الأشعث بن قيس يقرأ الكتاب على الناس ويعرضه عليهم. فقام فَتيان من عَنْزة قائلين: "لاحكم إلا لله" وحملا على أهل الشام بسيوفهما حتى قُتلا على رواق باب معاوية فكانا أول من حَكّم. وهما أخوان اسمهما مَعْدان وجَعْد[1].

ومر الأشعث بالصحيفة على رايات تميم فقال رجل منهم "لاحكم إلا لله" فقال رجل منهم لآخر[2]: أما هذا فقد طعن طعنة نافذة !! وخرج عروة بن أديه التميمى أخو مرداس بن أديه التميمى فقال: "أتحَكّمون الرجال فى أمر الله ، لاحكم إلا لله".

فما راع علىّ إلا نداء الناس من كل جهة ومن كل ناحية "لا حكم إلا لله ياعلىّ لا لك، لا نرضى بأن يحكم فى دين الله[3] . إن الله قد أمضى حكمه فى معاوية وأصحابه، أن يُقتلوا أو يدخلوا فى حُكمنا عليهم.، وقد كانت منا زلة حين رضينا بالحكمين، فرجعنا وتبنا ، فارجع أنت ياعلىّ كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلا برئنا منك. فقال علىّ[4]: ويحكم أبعد الرضا والعهد نرجع وقد أمرنا الله بالوفاء بالعهد.

---

(١) انصر بن مزاحم ص ٥١٢. الدينورى: الأخبار الطوال ص ١٩٦.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٥١٣. الطبرى : الأمم والملوك جـ٥ ص٥٥.

(٣) المصدر السابق ص٥١٣.

(٤) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص٥١٤ ومابعدها.

أبى علىّ أن يرجع، وأبت الخوارج إلا تضليل التحكيم والطعن فيه وبرئت من علىّ وبرىء منهم[(١)] وهكذا أجبروا عليا على قبول التحكيم، ثم تبرأوا منه بسبب التحكيم الذى اختاروه هم.

إن فرقة السبئية التى كانت تتخلل جند علىّ وجيشة لم يكن من مصلحتها أن يسود هدوء أو يكون إتفاق أو صلح بين الطرفين فهم لايتوانون عن إشعال الفتنة كلما خمدت أو أوشكت لذلك كان لهذا التحكيم الذى اتفق عليه الطرفان نتيجة من أسوأ النتائج فى خلافة على ".

خرج الناس الى صفين وهم أحباء متوادون، فرجعوا وهم أعداء متباغضون يضطربون بالسياط [(٢)] وقبل وصولهم إلى الكوفة انشق جماعة من جيش علىّ وهم الرافضين للتحكيم ونزلوا قرية حروراء قرب الكوفة. وهم الذين أطلق عليهم الحرورية أو المحكمة.[(٣)] ودخل قسم من المحكمة الكوفة وكانوا يصلون خلف علىّ وكثيرا ماكانوا يقاطعونه فى خطبته بالمسجد منادين بشعارهم "لا حكم إلا لله" واستمروا يدعون علىّ لرفض التحكيم حتى يئسوا . وكان رد علىّ على شعارهم: "كلمة حق يراد بها باطل" [(٤)] ولم يكن يمنعهم أعطياتهم.

---

(١) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٥١٤ - ٥١٧.

(٢) البلاذرى : انساب الأشراف جـ٢ ص ١٩٢. الطبرى : الأمم والملوك جـ ٥ ص ٥٧-٦٣.

(٣) المصدرين السابقين. تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٩١.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٥ ص٧٢ - ٧٣ . تاريخ اليعقوبى المجلد ٢ ص١٩١.

اجتمع المُحكّمة فى منزل عبد الله بن وهب الراسى الذى خطبهم [١] فحثهم على الخروج وقد أورد الطبرى نص الخطاب ومن الجدير بالذكر أن بعض زعمائهم اكانوا من السبئية الثوار مثل حرقوص بن زهير. وشريح بن أوفى القبسى- مما يؤكد العلاقة بين السبئية والخوارج . وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى[٢] الذى قبلها قائلا : والله لاآخذها رغبة فى الدنيا ولا أدُعها فرقا من الموت فبايعوه فى شوال سنة ٣٧ هـ وجعلوا أمير القتال شبث بن ربعى التميمى . وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى والأمر شورى بعد الفتح [٣] واتفقوا على الخروج وحدانا مستخفين[٤] وكاتبوا أشياعهم بالبصرة ليتلاقوا فى النهراوان.

ثم كان استعراضهم وقتلهم المسلمين حتى النساء والأطفال وفشلت محاولات علىّ معهم [٥] . حتى كانت معركة النهراوان . .

مر علىّ وهم صرعى فقال : "بؤسا لكم ! فقد ضركم من غركم ، فقالوا : ياأمير المؤمنين من غرهم؟ قال : أنفس بالسوء أمارة غرتهم بالأمانى ، وزينت لهم المعاصى ، ونبأتهم أنهم ظاهرون [٦].

ونحن نرى أن السبئية لها دورها هنا . فهى التى زينت وأوهمت وأشعلت نار الفتنة والحرب بين القوى الإسلامية وأوجدت الإختلاف فى وجهات النظر فهذا جزء من

---

(١) المصدر السابق ص ٧٤.

(٢) البلاذرى : انساب الأشراف جـ٢ ص١٩٥ ومابعدها.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ ٣ ص ١٦٥.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٥ ص ٧٥.

(٥) المصدر السابق ص ٨١ - ٨٤.

(٦) الطبرى : الأمم والملوك جـ٥ ص ٨٨.

المخطط أن يندسوا بين المسلمين بأفكارهم وآرائهم يوقعون بينهم .

ويبدو من أسماء قادة الخوارج أن معظمهم ينتمى إلى القبائل العربية الشمالية التى أسلمت متأخرة ولم يكن لها تراث حضارى فى الماضى. وظل أفرادها يمثلون النزعة البدوية التى يمكن استثارة الروح القبلية فيها ضد السلطة المركزية لقريش بالمدينة . أى من القبائل التى لاتقبل الخضوع بسهولة والتى لم تتأصل العقيدة فى نفوسهم وتتعمق مثل غيرهم بعد. فتميم من أكبر القبائل المضرية شأنا وعددا كما أنها دخلت الإسلام متأخرة وأتت الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر الوفود. كما أنها ارتدت بعد وفاته وادعى أشخاص منها النبوة مثل سجاح ويقال أن شبث ابن ربعى التميمى [(١)] ، أحد زعماء الخوارج كان مؤذنا لسجاح حين ادعت النبوة .

وقد خذل بنو تميم على بن أبى طالب فى معركة الجمل وحاربوا معه فى صفين ولكنهم مالبثوا أن صاروا من الخوارج [(٢)] ويبدو أن قبيلة تميم كانت من القبائل التى استهدفتها السبئية واستغلتها فى مخططاتها ضد الدولة الإسلامية .

لقد وجدت السبئية فى تميم بذلك أرضا خصبة لزرع ماتريد من أفكار ومبادىء حسب مخططهم. ومن الجدير بالذكر أن السبئية لم يكن لها مبدأ ثابت سوى القضاء على سيادة الإسلام. فقد كانوا يجعلون لكل مرحلة ماينا سبها من أقوال وفلسفات.

ونتوقف عند الشعار الذى ظهر فجأة فى جيش علىّ وبين جنده فى مواقع مختلفة ، نفس الشعار بنفس الألفاظ كما لو كان محفوظا معروفا لديهم جميعا من قبل.

---

(١) ابن قتيبة: المعارف ص ٤١٥.

(٢) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٥١٣.

تاريخ اليعقوبى : المجلد ٢ ص ١٩٠.

إن شعار "لا حكم إلا لله" الذى رفعه الخوارج حين شقوا عصا الصاعة على علىّ بعد صفين ، والذى يفسّر عادة على أنه رد فعل من جانب الخوارج ضد قرار اتخذه علىّ سمح فيه لرجلين - الحكمين - بالبت فى النزاع بينه وبين معاوية، ويُعتقد أن الخوارج أصروا على أن الرجلين كانا من الممكن ألا يكون لهما رأى يقطعان به فى أمر أقره الله. لأن التحكيم أو إصدار الحكم هو من إختصاص الله وحده.

هذا التضارب بين الإنسان وبين الله، أو موقف الخوارج واعتراضهم على التحكيم بهذه الكيفية انما يذكرنا بموقف طائفة القراءيين اليهودية وماساقوه من حجج ضد خصومهم التلموديين، فقد رموهم بالكفر لأنهم أعطوا الإنسان حصة فى سلطان الله، عندما اعترفوا بالقانون الشفوى Oral law - الذى هو من صنع البشر- مصدرا للتشريع مثلما يفعل الكفار فلا سلطان على البشر إلا لله ، ولا تكون السلطة شرعية إلا إذا كانت تحكم بسم الله ووفق مشيئته.(١)

(١) نزلت التوراة على موسى تحمل شرائع الملة. استخرج موسى الأحكام من النص الإلهى وكتبه بخط يده وسمى هذا الكتاب بالعبرانية "مشنا" وعندما غزا طيطش Titus القدس وخربها الخراب الثانى فُقدت نسخ المُشنا التى كانت لديهم. ولم يبق معهم من كتب الشريعة سوى التوراه وتفرق بنو إسرائيل، إلى أن جاء رجلان منهم هما شماى ، وهلال نزل مدينة طبرية وكتبا كتابا أسمياه "مشنا" تضمن أحكام شريعتهم وهو فى ستة أسفار وقد مات شماى وهلال دون أن يكملا المشنا فأكمله رجل منهم يعرف بيهودا من ذرية هلال. وحمل اليهود على العمل بما فى هذا المشنا.

وبعد ذلك بنحو خمسين سنة قامت طائفة من اليهود يقال لهم السنهدوين ،أى الأكابر ، وتصرفوا فى تفسير هذا المشنا برأيهم وعملوا عليه كتابا إسمه "التلمود" أخفوا فيه كثيرا مما كان فى ذلك المشنا وزادوا فيه أحكاما من رأيهم ، فوضعوا التلمود وكتبوه بأيديهم ونسبوا مافيه إلى الله تعالى لذلك ذمهم الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله تعالى: "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" . =

إن شعار " لا حكم إلا لله" الذى رفعه المحكمة فى صفين ماهو إلا صورة لما حدث فى اليهودية . صورة لما ساقه القراؤون من حجج ضد خصومهم التلموديين.

هكذا يتضح أن شعار الخوارج مستوحى من نفس الصراع بين فرقتى القرائين والتلموديين اليهوديتين وخاصة أن الخوارج الأول كانوا من القرآنيين الرافضين للسنة وسلطان الإمام والمصرين على أن السلطة لاتكون إلا فى كتاب الله وحده.

شعار لا حكم إلا لله هو فى حقيقته تجسيد لموقف القرائين من التلموديين فى اليهودية وانعكاس له مما يؤكد أنه صورة من صور الدس السبئي اليهودى فى حادثة التحكيم لبث الفُرقة بين المسلمين وإشعال نار الحرب بينهم.

= وطائفة القرائين لايعتقدون فى العمل بما فى هذا التلمود وهم طائفة مستقلة عن الطوائف اليهودية الأخرى نتيجة للخلاف فى وجهات النظر وفى التفسير وقد كان لطائفة القرائين معابد خاصة بهم فى القاهرة .

المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٤٦٤ - ٤٨٠.

جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ١ ص ٥٣ - ٥٦.

إتصل ابن سبأ بيهود العراق ثم بيهود فارس أثناء اقامته بالكوفة ثم بعد أن أخرجه على منها ونفاه إلى المدائن[١] واتفقوا وخططوا لضرب الإسلام ودولته الفاتحة المنتصرة الصاعدة، بغرض وقف توسعها في العالم ووقف انتشار الإسلام وانسياحه في الأرض وقيادته للبشرية بعد ظهوره على الدين كله.

وقد كانت هناك أعداد كبيرة من اليهود في العراق، في الكوفة والبصرة والمدن العراقية المختلفة ولكما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود[٢] في الأراضي الفارسية .
وبذكاء استغل ابن سبأ يهود فارس في خلافة عليّ لنشر التشيع بين الفرس.
لقد كان هناك دعاة منتشرون[٣] وحركة منظمة فانتشر التشيع سريعا في ايران واستغلت المشاعر والنزعات القومية الفارسية فكانت ايران بذلك أرضا خصبة لنشر التشيع. لقد كانت المجوسية كامنة كالنار تحت الرماد فجاءت ريح التشيع فأججتها وأخرجتها. لقد ركب السبئية اليهود موجة التشيع[٤] بعد أن تحالفوا مع المجوسية ضد الإسلام. فالظاهر هو التشيع وحب آل البيت والباطن هو ضـــرب الإسلام[٥] ودولته وإشعال الحركات والثورات كلما خمدت واحدة أشعلوا غيرها لتنقسم دولة الإسلام التي فئتين متصارعتين أبد الدهر مما يؤدي الى استنزاف قوى

---

(١) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٩.

البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢١، ص ٢٣٥.

(٢) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٦٤ ومابعدها.

(٣) مقالات الإسلاميين ص ٥٠.

الطبري : الأمم والملوك جـ٤ ص ٣٤١، ص ٣٤٦.

(٤) بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ص ٨٥.

(٥) ابن حزم : الفصل في الملل ج٢ ص ١١٥.

المسلمين واستهلاك طاقتهم واستنفاذ جهدهم بعيدا عن أهداف الإسلام وغاياته الحقيقية وتلك هى وسيلة القضاء على قوة الإسلام وسيادته.

والدليل على ذلك هو بصمات اليهود القوية الواضحة فى التشيع إلى جانب البصمات المجوسية الفارسية . فالأصول اليهودية اتضحت فى التشيع بالقول بالرجعة والوصية، كما ظهرت فكرة تحريم النار على الشيعى فالشيعة يقولون أن النار محرمة على الشيعى، كما قال اليهود" لن تمسنا النار إلا أياما معدودات" (١).

وهكذا يتضح التحالف اليهودى المجوسى وصار له جناحان جناح عقائدى فكرى خاص بالتخطيط وهذا الجناح هو الذى أدخل الغلو على التشيع بكل الأفكار المتطرفة التي تحدثنا عنها سابقا والتى سارت بالتشيع بعيدا عن الإسلام ويبدو أن هذا الجناج كان من إختصاص اليهود. ثم جناح تنفيذى عليه عبء تنفيذ المخطط وذلك بالقيام بالحركات الثورية ويبدو أن هذا الجناح كان فى يد الفرس الذين كانوا جندا لكل حركات التشيع بعد ذلك بل كانوا جندا منضمين إلي كل الحركات الثورية المعادية للدولة الأسلامية. إنضموا إلى كل ثائر على الخلافة الأموية العربية فحاربوا السيادة العربية بسلاح الإسلام واتخذوا من الدين سندا لضرب العروبة.

فرح شيعة الكوفة بوفاة معاوية ونادوا بحق علىّ وأبنائه فى الخلافة محتجين بوصاية الرسول لعلىّ بالنص يوم الغدير. ثم ماكان من سوء معاملة ولاة

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٦.

قال تعالى : "وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة "

سورة البقرة آية ٨٠. سيد قطب ظلال القرآن جـ ١ ص ٨٣.

الأمويين لهم خاصة. زياد بن ابيه وارهابه لهم. وما كان من قتل حجر بن عدى. لذلك اجتمعوا فى دار سليمان بن صرد واتفقوا على أن يراسلوا الحسين يستقدموه ليسلموا اليه الأمر. وكتبوا اليه فعلا. وخرج الحسين فى أهل بيته بعد أن أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل الي الكوفة ثم ماكان من خروج جيش عبيد الله بن زياد ومأساة كربلاء .

فكانت كربلاء فرصة سانحة لاولئك الحاقدين والموتورين الذين جاهروا باسلامهم دون إيمان حقيقى به، أن ينفذوا خططهم باستغلال ذلك الحادث في دعوتهم لنشر التشيع بين الفرس انتشارا عريضا وإثارة نفوس الموالى واستعدائهم على الخلافة الأمويـــة.

هكذا كانت للحركة السبئية آثارها البعيدة المدى فى مستقبل الأحداث فى الدولة الإسلامية على مدى العصور.

العلاقة بين السبئية واليهود

من الحقائق الثابته تاريخيا وجود علاقة وطيدة بين اليهود وبين والسبئية. تلك الحركة المناهضة للإسلام ، ولانقول ذلك من منطق التعصب للإسلام . فقد أكد تلك الحقيقة كثير من المؤرخين غير المسلمين.

اتفقت المصادر التاريخية على أن عبد الله بن سبأ زعيم السبئية ومؤسس هذه الفرقة يهودي[١] تظاهر بالإسلام. أعلن سلامه زمن عثمان وقام بدور هدام استمر إبان عصر عليّ وابنه الحسن حتى إتسعت الحركة وامتد أثرها فيما بعد.

تحدث فلهوزن عن العلاقة بين السبئية واليهود فأكد وجود ارتباط وثيق بينهما وذكر أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا كما أكد الأصل اليهودى لفرقة السبئية [٢]، وساق الأدلة العديدة على ذلك [٣] والتى لا يتسع المجال لذكرها هنا.

ويتناول أحد المستشرقين المحدثين مدلولات الشعارات التي توجد فى المرويات الإسلامية حول موضوع الفتنة فيقول: " سوف نناقش تلك المقولات والشعارات فى ضوء الآراء والمصطلحات الموجودة فى اليهودية وأرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى فهم أفضل لمدلولات هذه المقولات والشعارات لا يكون إلا بمقارنتها بمفردات اليهودية وليس من خلال تفسيرها فى ضوء المصطلحات الإسلامية التقليدية الموروثة" [٤].

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك جـ ٤ ص ٣٤٠.
ابن الأثير : الكامل جـ٣ ص ٧٧. واتفقت معهم كل كتب الفرق والملل والنحل.

(٢) فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ١٧٠- ١٧١.

(٣) المصدر السابق ص ١٧١- ١٧٧.

(4) G.R>Hawting: The Sigificance of the slogan" la hukm illa lillah " and the references to the hudud in the traditions about the fitna and the murder of Uthman. The Bulletin of the SOAS, University of London, Vol. XLI Part 3, P. 23, 1978.

ويستطرد هوتنج [١] فيقول " إن النزاع الذي حدث في المجتمع الإسلامي الأول أشبه الى حد بعيد - كما نعلم - بالنزاع الذى ساد الفرق اليهودية خلال الفترة الإسلامية المبكرة والذى ينصب على المكانة النسبية للقرآن والسنة" .

ثم يوضح ذلك بقوله :" من المهم القول بأن هذه المصطلحات يمكن العثور عليها فى كتابات طائفتين من الطوائف اليهودية وهما بالتحديد طائفة Qumranوطائفة Karaites " [٢]ويختتم حديثه قائلا" إن ثمة تشابه كبير بين المصطلحات والآراء اليهودية حول هذه المسائل وبين المصطلحات والآراء التى تزخر بها الروايات الإسلامية التى تتناول عثمان والفتنة[٣]. .

ومما يؤكد العلاقة بين السبئية واليهود أن فكرة " الوصى " أو " المهدى " التى أدخلها ابن سبأ على الفكر الإسلامى هى فكرة يهودية [٤]، فقد ذكر فلهوزن أن فكرة " المهدى الذى يعود ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا دخيلة -أيضا على الفكر الإسلامى ، ويوضح ذلك قائلا:" إن المهدى هو النظير العربى للمسيح اليهودى حاكم مملكة السنة الألف . أما يسوع (عيسى) فعلى عكس ذلك يظهر فى يوم الحساب بعد مملكة السنة الألف[٥].

---

(١) وهو أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الدراسات الأفريقية والشرقية بجامعة لندن.

(٢) Ibid, p. 454.

(٣) Ibid. p. 460.

(٤) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص٣٤٠. الأشعرى: مقالات إسلامية ص ٥٠.
فلهوزن : الخوارج والشيعة ص ١٧١ ومابعدها.

(٥) فلهوزن: المصدر السابق .

نخلص من ذلك أنها فكرة يهودية وصلتنا عن طريق ابن سبأ مما يؤكد الصلة الوثيقة بين السبئية واليهود فقد كان ابن سبأ يقول: ان لكل نبى وصى وخليفة فوصّى رسول الله وخليفته ليس إلا علىّ وأن الأمة ظلمت عليا وغصبت حقه فى الخلافة والولاية ، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته وخلع طاعة عثمان وبيعته ، فتأثر به الكثيرون وخرجوا على الخليفة عثمان(١).

وكذلك فان فكرة الرجعة وتناسخ الأرواح ومبدأ الحلول التى ادخلها ابن سبأ هى من الفكر اليهودى، وكل ماقيل فى هذا الشأن إنما هو أصداء لما ورد فى سفر أشعيا إصحاح ١١: ٧، ويؤكد ابن حزم ان هذه الفكرة فكرة يهودية فيقول: " صار هؤلاء فى سبيل القائلين بأن إلياس عليه السلام وفنحاس ابن أليعازار ابن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم(٢) ويرى جولد تسيهر أن فكرة الرجعة تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية (٣)، وكذلك يرى بطروشوفسكى(٤) أن أصل فكرة الرجعة ظهر لأول مرة بين اليهود اتباع التوراة(الإعتقاد برجعة الياس وأخنوخ) وهذا بالتالى يؤكد الأصل اليهودى للسبئية (٥).

---

(١) ابن أعثم الكوفي : الفتوح المجلد الأول ص ٤٠٠ وما بعدها . الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ١١.

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل مجلد ٣ ص ١٨٠.

المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٤٧٠-٤٧١.

(٣) العقيدة والشريعة فى الإسلام ٢١٥.

(٤) الإسلام فى إيران ص ٢١٦.

(٥) المقريزى : الخطط ج٢ ص ٤٧٠-٤٧١.

وفكرة الوصاية والولاية لم يأت بها القرآن ولا السنه الصحيحة الثابته بل اختلقها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسى ونشرها بين المسلمين باسم وصاية عليّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علّى، ويقول النوبختى (١) أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فاسلم وكان يقول على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال فى اسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك. ويقول الشهرستانى هو أول من أظهر القول بالنص بامامة علّى رضى الله عنه، تشبعت أصناف الغلاة (٢) مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين اليهودية والسبئية الرافضة .

وروى صاحب العقد الفريد (٣) عن الشعبى انه قال لمالك بن معاوية احذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة فانها يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية . ولم يدخلوه رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتا بأهل الإسلام وبغيا عليم ، وقد أحرقهم على بن أبي طالب ونفاهم الى البلدان منهم: عبد الله بن سبأ وعبد الله بن سباب، نفاه الى الجازر (٤)، وأبو الكروس.

وأورد ابن عبد ربه مقارنة بين اليهود والرافضة توضح مدى التشابه بين الفئتين فى الفكر والعقيدة فيقول(٥) : قالت اليهود لا يكون الملك الا فى آل داود

---

(١) فرق الشيعة.

(٢) الملل والنحل. ص ١٧٤.

(٣) ابن عبد ربه ج٢ ص٤٠٩.

(٤) الجازر : قرية من نواحى النهروان قرب المدائن . عن العقد الفريد ج٤ ص ٤٠٩
ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٩٤.

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٢ ص ٤٠٩ ومابعدها.

وقالت الرافضة[١] لا يكون الملك إلا في آل على بن أبى طالب.
وقالت اليهود لا يكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر وينادى مناد من السماء. وقالت الرافضة لاجهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وينزل سبب من السماء " .
واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئا وكذا الرافضة.
واليهود لا ترى على النساء عدة وكذلك الرافضة.
واليهود تستحل دم كل مسلم ، وكذلك الرافضة .
واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن .
واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة .
وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل فى الوحى الى محمد بترك على بن أبى طالب.
واليهود لا تأكل لحم الجزور ، وكذلك الرافضة.

خطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل خطابا أورده ابن عبد ربه[٢] تحدثت فيه عن حقد اليهود وتحرشهم بالدولة. وأشارت إلى دور الخليفة الأول أبى بكر فى الحفاظ على الدولة منهم . وخطاب عائشة عن اليهود فى ذلك الوقت العصيب إنما يوحى بصلتهم بما يجرى من أحداث.

---

(١) قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ، والشيعة دونهم، وهم الذين يفضلون عليا على عثمان، والرافضة لها غلو شديد فى علىّ وهم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وفيهم يقول السيد الحميرى:

قوم علوا فى على لا أبا لهم ... وأجشموا أنفسا فى حبه تعبـــا
قالوا هو الله، جلّ الله خالقنا ... من أن يكون ابن شىء أو يكون أبا

وقد أحرقهم علىّ بالنار. ومن الروافض المغيرة بن سعد مولى بجيلة، وكان من السبئية الذين أحرقهم علىّ بالنار.
ابن عبد ربه": العقد الفريد جـ٢ ص ٤٠٤-٤٠٨.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٣١٤ ومابعهدا.

النتائج التى ترتبت على حركة السبئية

١- كان المسلمون قبل الفتنة أمرهم مجتمع ، أحوالهم حسنة جيوش منتصرة. وعدل شامل ورخاء إقتصادي ، ثروة وسطوه لهم السيادة فى شبه الجزيرة، والصاعدة نحو السيادة العالمية .... دولة مرهوبة الجانب كانت الأمة قبل مقتل عثمان علي قلب رجل واحد وجهتهم واحدة لا يفترقون ولا يختلفون فى شيء فلما قُتل عثمان ظهرت الشيعة وفى مقابلتها العثمانية الذين حَملوا علىّ تبعـــة قتلته والتهاون فى شأن قتله. وهكذا افترقت كلمة المسلمين.

ضاعت هيبة الخلافة في ديار الإسلام وحلت محلها الجرأة على شخص الخليفة وإمكان الثورة عليه وذلك بعد مقتل عثمان . وإختلفت كلمة كبار رجال الدولة وافترقت وحدتهم وتصدع شملهم.

٢- اندلاع الفتنة فى العالم الإسلامى ولم تتوقف حتى بعد مقتل الخليفة عثمان فقد كان لحركة السبئية تأثير كبير على مسار الأحداث فى صدر الإسلام فأثيرت قضايا معينة بوجهات نظر مختلفة أطلقوا مصطلحات ومفاهيم وفلسفات متباينة، فقد تخللت و أعقبت الفتنة نزاعات حادة بين رجالات الإسلام آنذاك (مثل معاوية وعلى وعائشة وطلحة والزبير).

فعلى سبيل المثال استخدموا لفظة " اصلاح " لمفاهيم مختلفة فنجد طلحة والزبير يستخدمانها فى تحديد أهدافهما فى :" وضع الحرب" ويمكن للمرء هنا أن يخلص الى أن " وضع الحرب " مرادف لكلمة " اصلاح " وتقول عائشة حين خرجت إلى البصرة " لقد خرجت الى المسلمين أخبرهم بما فعلته تلك العصابة (قتلة عثمان) وأشرح لهم الحالة التي تركت عليها الناس ومايتحتم عليهم أن يفعلوه " وأن عليهم أن يدخلوا في " اصلاح هذا "

أما الثوار فكلمة " إصلاح " تعنى بالنسبة لهم العودة الى التشريع والحدود المنصوص عليها فى القرآن ووضع السلطة فى أيدى خليفة يتم انتخابه وفقا للتشريع وعن طريق الشورى .

أما على فقد خطب أهل المدينة قائلا: " إن الله سوف يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق " . ومن هذا نرى أن لفظة " اصلاح " استخدمت بمفاهيم متباينة وما ذلك - فى نظرنا- إلا أنه دس " سبئى تسلل بين صفوف المسلمين وفعل أفاعيله. وتستمر الفتنة وإختلاف الآراء والأقوال حتى يُقتل علىّ .

٣- توقف حركة الفتوح الإسلامية التي بدأت فى عصر الراشدين، ولن تنشط حركة الفتوح ثانية إلا بعد استتباب الأمر للخليفة الأموى عبد الملك بن مروان لتزدهر فى عهد ابنه الوليد بن عبد الملك ، أى عندما تنتهى الحرب الأهلية بين المسلمين وعندما تتوحد كلمتهم ويتوحد صفهم مرة ثانية. ويترتب على إنحسار حركة الفتوح وقف إنتشار الإسلام وانسياحه فى العالم والحد من سيادته، تلك السيادة التى كانت تؤرق اليهود وتحذ فى نفوسهم كما جاء فى كتاباتهم

Jews formed the majority of the population. The three main Jewish tribes there were defeated by the muslims under Muhammad: two were allowed to leave, but the third, the Qurayza, suffered a harsher fate. The men between 600 and 900 in number, were put to death, the women and children became slaves (627). The following year the Jews of the rich oasis of Khaybar were conquered and made to pay tribute, and this victory paved the way for the establishment of **Muslim Supremacy** in the peninsula.(1)

---

(1) Nicholas de lange: Atlas of the Jewish State. pp. 38-39.

ولو لم تكن الفتنة لتغير وجه التاريخ، كان من الممكن أن تسير حركة الفتوحات الإسلامية بقوة اندفاعها الأولى وحماس المسلمين الأوائل لنشر دينهم وتبليغ الدعوة. كان من الممكن دخول أوربا أيضا فى الإسلام و كانت فرصة إنتشار الإسلام أكبر وأوسع.

ولكن الفتنة والحرب الأهلية فى ديار الإسلام، وقعة الجمل ومقتل آلاف المسلمين ، وقعة صفين وكل ماترتب عليها من ظهور فرقة الخوارج. ثم بعد ذلك مقتل علىّ على أيديهم. وماأدى إليه من قيام الشيعة مطالبين بأحقية ذرية علىّ فى الخلافة. ثم ظهور الفرق الإسلامية والجدل بينهم كل ذلك استنفذ طاقة المسلمين وجهدهم وشغلهم عن حركة الفتوحات.

٤- ضرب العقيدة الإسلامية ذاتها بإفسادها بأفكار يهودية غريبة عن الفكر الإسلامى مثل فكرة الوصى (١) والمهدى أو الامام ومبدأ الحلول والرجعة أى حلول روح الاله فى على وانتقالها للأئمة بعد ذلك والرجعة ، رجعة محمد ورجعة على.

فالتشيع الذى نشره ابن سبأ ينطوى بطبيعته على كثير من الإتجاهات التي تخالف السنة مخالفة واضحة تصل إلى العقيـــدة والمسائل الجوهرية، فتصور الشيعة لطبيعة الأئمة قد أثر حتما وبالضرورة فى آرائهم فى الوحدانية وفى أسماء الله ورسله وصفاته. وأكثر هذه القضايا مأخوذ عن اليهودية مما يؤكد دور السبئية الفعال.

٥- ترتب على انتشر حركة السبئية تمزيق المسلمين الى شيعة وسنة وما استتبع ذلك من صراع طويل بينهما ابان العصر الأموى والعباسي مما فت فى عضد الدولة الإسلامية.

---

(١) الطبرى : الأمم والملوك ج٤ ص ٣٤٠.

كما ترتب على الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ أن تفرعت آراء كثير من الفرق. فمن تعاليمه تشعبت أقاويل الغلاة من الرافضة.

٦- التشكيك في القرآن كنص يجب الوثوق به والإستناد اليه، فقد اتهمت السبئية عثمان بأنه فعل شيئا في نص القرآن حين جمعه ونسقه بعد أن حرق الصحائف المخطوطة المتباينة [1] وصار عثمان بذلك هو الذي نشر نص القرآن بصورته الحالية. استغلت السبئية ذلك وشوهت ماقام به عثمان وصوروا هذا الأمر على أنه لاقي معارضة شديدة من الصحابة ومن رجالات الإسلام بل لاقى استياءا كبيرا، فخلقوا بذلك وجهة نظر مؤداها أن عثمان فعل شيئا في نص القرآن [2] وأذاعوها في الأمصار، وجدير بالذكر أن تلك القضية كانت من الأسباب التى حركت الثورة ضد عثمان[3].

والواقع أن ذلك الإتهام وتلك الدعوى بتحريف القرآن والتشكك فيه لها أهدافها البعيدة ومراميها الخبيثة لهدم ذلك الدين وعدم التقيد بأحكامه والخروج عن حدود الشرع وفي كل ذلك تقويض للكيان الإسلامى .

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٧٠.

(٢) G.R.Hawting: The Significance of the slogan " la hukma illa lillah" and the References to the hudud in the traditions about the Fitna and the murder of " Uthman".

(٣) ابن اعثم الكوفى : المجلد الأول ٤٠٦ ومابعدها.

٧- وبانتشار التشيع وجه إتهام آخر إلى الخلفاء الأول وصحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم بأنهم قاموا بتحريف القرآن وتبديله لأغراض في نفوسهم منها إخفاء أمر ولاية علي رضى الله عنه وأن القرآن الصحيح احتفظ به على ولن يخرج الى الناس ولن يظهر إلا مع الإمام المنتظر (١).

٨- اتهمت السبئية عثمان بأنه أبطل أو عطل الحدود وأشاعوا ذلك في الأمصار وإستندت على وجه التحديد إلى عدم إقامة عثمان حد القتل على عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان (٢) كما تقضى بذلك أحكام الشريعة. فالحدود هنا أمر الهي وإقامتها تعنى آقامة كتاب الله كمصدر للتشريع أى الإلتزام بأوامر الشريعة والتمسك بالمفاهيم الإلهية والالتزام بما أمر الله به ونهى عنه. وأن الإتهام هنا بتعطيل الحدود وعرقلتها والدعوة إلى إقامتها إنما تبين أن النزاع الحقيقى جرى حول وضع ومكانة كتاب الله كمصدر يُرجع اليه فى التشريع أى المكانة النسبية للقرآن والسنة كمصدر للتشريع الإسلامى وأيهما أسبق الآخر فى المرجعية.

ومن هذا يتضح هدف السبئية فى التشكيك فى القرآن والسنة كمصدرين أساسيين فى التشريع الإسلامى.

---

(١) ابن بابويه القمى : كتاب الخصال ص ٨٣ طبعة إيران ١٣٠٢هـ
احسان الهى ظهير : الشيعة والسنة ص ٨٥.

(٢) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص [illegible].

وجدير بالذكر أن الجدل الذى أثارته السبئية حول مكانة القرآن والسنة كمصدرين أساسيين من مصادر التشريع الإسلامى إنما هو انعكاس للصراع الذى احتدم بين الفرق اليهودية[١]. فقد كانت نقطة الخلاف الرئيسية بين فرقة القرائيين وخصومهم من اليهود التلموديين تنحصر في وضع التشريع الشفوى، فبينما يصر القراؤون على أن التوراه وهى التشريع المكتوب والمدون هى المرجع الذى لايحتمل الشك نجد أن اليهود التلموديين يضعون التشريع الشفوى Oral Law فى مرتبة التوراة المكتوبة من حيث المرجعية والمستندية ، فالقراؤون يرون أن التلموديين غيروا الحدود بتغيير توراة الله ووصاياه ، وثمة تشابه كبير بين المصطلحات والآراء اليهودية حول تلك المسألة وبين المصطلحات والآراء التى تزخر بها الروايات الإسلامية المتعلقة بقضية الفتنة ومقتل عثمان.

فقد ترددت كثيرا مصطلحات حول هذا المعنى مثل الدعوة إلى "إقامة الحدود" أو الإشارة إلى "تعطيل الحدود" أو " إبطال الحدود" ويبدو أن الاهتمامات بتعطيل الحدود وعرقلتها والدعوة إلى اقامتها إنما يبين أن الغرض الحقيقى للسبئية كانت تشكيك وتقليل أهمية وضع ومكانة كتاب الله كمصدر مرجعى للتشريع خاصة أنهم أثاروا شكوكا حول نص القرآن حين أمر عثمان بحرق المصاحف وأبقى نسخة واحدة.

شعار " لا حكم إلا لله " هو فى حقيقته تجسيد لموقف القرائيين من خصومهم التلموديين فى اليهودية وانعكاس له وصورة من صور الدس السبئى فى حادثة التحكيم لبث الفرقة بين صفوف المسلمين . وعلى ذلك فظهور حركة الخوارج من نتائج حركة السبئية.

---

(1) G.R. Hawting Op. Cit. P. 459.

المصادروالمراجع

أ- أولا العربية والمعربة

الأصفهانى : الحسن بن عبد الله

- بلاد العرب . تحقيق حمد الجاسر، د. صالح العلى.

الأشعرى : ت ٣٣٠ هـ أبى الحسن على بن إسماعيل

- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين.

أحمد أمين :

- فجر الإسلام.

أحمد شلبى: الدكتور

- مقارنة الأديان . ١- اليهود . الطبعة الخامسة ١٩٧٨.

إحسان الهى ظهير:

- الشيعة والسنة (لاهور. الطبعة العاشرة ١٩٨١).

أرنولد : توماس

- الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم وآخرين. طبعة ١٩٤٧.

ابن الأثير : ت ٦٣٠هـ. على بن أحمد بن أبى الكرم.

- الكامل فى التاريخ . الطبعة الثالثة.

ابن أعثم الكوفى : ت ٣١٤ هـ أبى محمد أحمد.

- كتاب الفتوح (طبعة دار الكتب العلمية).

ابن بابوية القمّي : محمد بن على بن الحسين.

- كتاب الخصال (طبعة إيران ١٣٠٢هـ).

بطروشوفسكى :

- الإسلام فى إيران . ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى (دار الثقافة للنشر. القاهرة ١٩٨٢).

البغدادى : ت ٤٢٩ هـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد

- الفرق بين الفرق (طبعة دار المعرفة - بيروت).

البكرى : ت ٤٨٧ هـ عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى

- معجم ما استعجم . طبعة عالم الكتب بيروت.

البلاذرى : ت ٢٧٩ هـ أحمد بن يحيى بن جابر

- أنساب الأشراف .

- فتوح البلدان

ترتون : أ. س .

- أهل الذمة فى الإسلام .ترجمة حسن حبشى طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٧.

التميمى: ت ٣٣٣ هـ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام.

- المحن . تحقيق د. عمر سليمان العقيلى . الطبعة الأولى ١٩٨٤.

جواد على: الدكتور

- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام . الطبعة الثانية بيروت.

جوستاف لوبون:

- اليهود فى تاريخ الحضارات . ترجمة عادل زعيتر . القاهرة ١٩٥٠.

جولدتسيهر: إجناس

- العقيدة والشريعة فى الإسلام.

نقله إلى العربية د. محمد يوسف موسى . د. على حسن عبد القادر . عبد العزيز عبد الحق . الطبعة الثانية.

ابن حزم : ت ٤٥٦ هـ أبى محمد على بن أحمد .

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

الخربوطلى : الدكتور على حسنى

- الرسول فى المدينة . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

خليفة بن خياط: ت بين ٢٤٠ - ٢٤٦ هـ أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبى هبيره الليثى العصفرى.

- تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق د. أكرم ضياء العمرى.

ابن خلدون : ت ٨٠٨ هـ عبد الرحمن بن محمد
- المقدمة
الدينورى: ت ٢٨٢ هـ أبو حنيفة أحمد بن داود
- الأخبار الطوال . الطبعة الأولى القاهرة ١٩٦٠.
دروزه : محمد عزة
- تاريخ بنى إسرائيل . طبعة ١٩٦٩.
الزركلى : خير الدين
الأعلام (طبعة دار العلم للملايين - بيروت)
أبو زهرة : الشيخ محمد
- تاريخ المذاهب الإسلامية .
السيوطى : ت ٩١١ هـ عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين.
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (الطبعة الأولى).
الشهرستانى :
- الملل والنحل
ابن طباطبا: ت ٧٠١ هـ محمد بن على بن طباطبا المعروف بالطقطقى.
- الفخرى فى الآداب السلطانية . بيروت ١٩٦٦.
الطبرى : ت ٣١٠ هـ أبو جعفر محمد بن جرير.
- الأمم والملوك (الطبعة الثانية)
ابن عبد ربه : ت ٤٣٩هـ أبو عمر أحمد بن محمد
- العقد الفريد (الطبعة الثانية)
ابن العربى : القاضى أبو بكر.
- العواصم من القواصم.

على ابراهيم حسن : الدكتور

- التاريخ الإسلامي العام.

أبو الفدا : ت ٧٣٢ هـ . عماد الدين إسماعيل

- المختصر فى أخبار البشر. طبعة دار المعرفة . بيروت.

فلهوزن : يوليوس

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام

ترجمة عن الألمانية د. عبد الرحمن بدوى.

ابن قتيبه : ت ٢٧٦ هـ أبو محمد عبد الله بن مسلم

- الإمام والسياسة.

- المعارف

القلقشندى: ت ٨٢٠ هـ أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله

- مآثر الإنافة فى معالم الخلافة . الطبعة الأولى.

كارل بروكلمان :

- تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى

(الطبعة الرابعة).

ابن كثير : ت ٧٧٤ هـ الحافظ الدمشقى

- البداية والنهاية . الطبعة الثانية.

المسعودى : ت ٣٤٦ هـ أبو الحسن على بن الحسين بن على .

- التنبيه والإشراف .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر.

محمود شاكر :

التاريخ الإسلامى المكتب الإسلامى الطبعة الأولى.

المقريزى: ت ٨٤٥ هـ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
طبعة دار صادر بيروت.
محمد خليفة تونسى:
الخطر اليهودى . بروتوكولات حكماء صهيون الطبعة الرابعة.
ترجمة محمد خليفة تونسى.
ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
- لسان العرب. دار صادر بيروت.
موريس كروزيه وآخرين:
تاريخ الحضارات العام . نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر ، فريد م داغر.
ناجى حسن : الدكتور
- القبائل العربية فى المشرق الطبعة الأولى ، اتحاد المؤرخين العرب.
نصر بن مزاحم : ت ٢١٢ هـ نصر بن مزاحم المنقرى
- وقعة صفين . تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الثانية.
ولفنسون : اسرائيل
- تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام.
القاهرة ١٩٢٧.
ياقوت الحموى : ت ٦٢٦ هـ شهاب الدين أبو عبد الله
- معجم البلدان طبعة القاهرة.
اليوزبكى : الدكتور توفيق سلطان .
- تاريخ أهل الذمة فى العراق. الطبعة الأولى ١٩٨٣.
اليعقوبى: ت ٢٨٢ هـ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.
- تاريخ اليعقوبى.

ثانيا الأوربية

Goitein, S.D.: Jews and Arabs. New York, 1955.

Hawting, G.R.

The Significance of the Slogan "La Hukm Illah Lilah" and the References to the Hudud in the Traditions about the Fitna and the Murder of Ulthman. The Bulletin of the SOAS, University of London, Vol. XLI, Part 3, 1978.

Lammens, Henry:

La Mecque a la Veille de L'Hegire Beyrouth, 1936.

Lane-Poole, Stanley:

- A History of Egypt in the Middle Ages. London, 1925.
- The Muhammedan Dynasties. Paris, 1925.

Lewis, Bernard:

The Arabs in History. London, 1950.

Marlgoliouth:

- The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam. London, 1924.
- The Early Development of Muhammedanism. London, 1914.

Mez, Adam:

Die Renaissance des Islam, Heidelberg, 1922.

Nicolas de Lange:

Atlas of the Jewish State. Oxford, 1984.

Watt, Montgomery:

Muhammed at Mecca. Muhammed at Medina. Oxford, 1956.

The Jewish Encyclopaedia..

المحتويات

رقم الإيداع ١٩٩١/٥٠٤٣
الترقيم الدولى
ISBN 977-00-1684 -5